الباب الأول

الشعراء الخلص

ويشتمل على ستة أقسام

تمهيد للمؤلف

إذا قيل : إنّ العربيّ لا يخطئ، فالمراد لا يخطئ في اللفظ للملكة اللسانيّة الراسخة فيه[1] ، وأما فى المعانى فلم يقل أحد بعصمة جنانه ، كما قالوا بعصمة لسانه، بل هو خلاف ما صرّح به أئمة العربية ، ألا تراهم كيف خطّـأوا أبـا قيس بن رفاعة[2] فى قوله :

منّا الذى هو ما إن طَرّ شاربه والعانسون ومنّا المُرْد والشّيب

لأنه لم يحسن التقسيم فى البيت .

وقد أعترض أبن هشام فى المغنى على ذكره المرد بعد قوله : مـا طـرّ شاربه ، إذ الذى لم ينبت شاربه أمرد ، فكأنه قال : منّا الأمرد ، ومنا المُرْد ، ثمّ قال : "والبيت عندى فاسد التقسيم بغير هذا ، ألا ترى أن العانسين ، وهـم الذين لم يتزوجوا ، لا يناسبون بقية الأقسام ، وإنما العرب محميّون عن الخطأ فى الألفاظ دون المعانى " انتهى .

---

[1] لبعض شعراء العرب أغلاط لفظية نبه عنها العلماء، وفى كونها للضرورة أو لغيرها خلاف لا يسـع المقـام ذكره .

[2] لم يتعرض البغدادى لهذا البيت فى شرحه لشواهد المغنى بسوى قوله: « قال أبو عبيد البكرى فى شرح نوادر القالى: البيت لأبى القيس بن رفاعة، هكذا يقول يعقوب، وغيره يقول: قيس بن رفاعة » . قلنا: للبكـرى كتابان، أحدهما: شرح نوادر القالى الذى نقل عنه البغدادى هذه العبارة، والثانى التنبيه على أوهام القـالى فى أماليه، وعندنا منه نسخة صحيحة مقروءة كتبت سنة ٦٦٢هـ ونص مافيها عن قيس بن رفاعة: « إنما هو أبو قيس بن رفاعة واسمه دثار، وقد ذكره أبو على رحمه الله بعد هذا فى كتابه على صحتـه » الخ إلا أن أحد من قرأ النسخة زاد لفظ (أبى) قبل رفاعة فصار ابن أبى رفاعة وكتب فوقه (صح) .

وقد حاول بعض شرّاحه تصويب ما فى البيت بتقدير أنّ أصله : منّـــا العانسون والمتزوّجون ومنّا المرد والشيب ، وذكروا فيه أوجهاً أخرى لا تخلـوا من مثل هذا التكلّف .

وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان : "وليس الأعرابى بقدوة إلاّ فى الجـــرّ والنصب والرفع وفى الأسماء ، وأمّا غير ذلك فقد يخطـــئ فيـــه ويصيـــب " والنصوص على ذلك كثيرة لا تختلف إلاّ فى المبنى فلا حاجة لذكرها. وقد بحثنا فيما وصل إلينا من هذه الأوهام، وتفحّصنا أسبابها ، فرأيناها ترجع إلى الأقسام الآتية :

القسم الأول

فمن أسباب الوهم فى المعانى جهل الشاعر بما يذكره لبعده عنه ، فتراه يأتى به على غير حقيقته ، ويضعه فى غير موضعه ، أو يبهم فى وصفه فلا يدنيه منك ولا يبعده ، كالحَضَرىّ الذى لم يسبق له التبدّى ، والبدوىّ الذى لم يتحضّر ، فإنهما قلّما يستطيع أحدهما أن يذكر ما عند الآخر فيصيب فيه ، أو يصفه فيحسن الإفصاح عنه لأنه إنّما يذكر ما لم يعرفه، ولم يره إلاّ بسمعه حكى صاحب الأغانى عن الكميت أنه قال : لّما قدم ذو الرّمّة أتيته فقلت : إنّى قد قلت قصيدة عارضت به قصيدتك : (ما بالُ عينك منها الماء ينسكب) فقلت :

هل أنت عن طلب الأيفاع منقلبُ أم كيف يحسن من ذى الشّيبة اللعب؟

حتى أنشدته إيّاها ، فقال لى : ويحك ! إنّك لتقول قولاً ما يقدر إنسان أن يقول لك : أصبت ولا أخطأت ، وذلك أنك تصف الشئ فلا تجئ به ، ولا تقع بعيداً عنه . بل تقع قريباً . قلت له : أو تدرى لم ذلك ؟ قال : لا، قلت: لأنك تصف شيئاً رأيته بعينك ، وأنا أصف شيئاً وُصِف لى ، وليست المعاينة كالوصف. قال: فسكت. انتهى .

ويروى: أنّ الكميت كانت له جدّتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها ، وتخبرانه بأخبار الناس فى الجاهلّية ، فإذا شكّ فى شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه ، فمن هناك كان علمه .

قلنا : وقد رأيت كيف لم يغنه وصف الجاريتين شيئاً ، فوقع فيما أحتاج إلى الاعتذار منه ، وليت شعرى أين عزبتا عنه لمّا نظم قصيدته:

(أبت هذه النفس إلاّ أدّ كاراً) فقال فيها[1] :

إذا ما الهجارسُ غَنّينها يُجاوبن بالفَلَوَات الوِبارا[2]

وقال:

كأنّ الغُطامط من غليها أراجيزُ أسْلمَ تهجو غِفارا[3]

فكانتا تخبرانه بأنّ الوبار لا تسكن الفَلَوَات، وبأنّ أسلمَ ما هجت غفاراً قطّ فتنجيانه من أنتقاد نُصَيب .

ومَثَل هذا الحضرىّ فى وصفه ما لم يره من أمور البادية ، كمثل ذلك البدوى الذى سمع بأن الرقاق والفستق من مأكول الحضر، وأراد وصف جارية بالتبدّى فقال :

دَسْتيّة لم تأكل المرقّقا ولم تذق من البقول الفستقا[4]

---

[1] فى الأغانى أن المنتقد للبيتين نصيب .

[2] الهجارس: الثعالب، أو كل ما يعسعس بالليل مما كان دون الثعلب وفوق اليربوع. والوبار (بكسر الأول): جمع وبر، وهى دويبة على قدر السنور .

[3] أصل الغطاط (بضم الأول): صوت غليان موج البحر، وأراد هنا صوت غليان القدور لأنه يصف قدور أبان ابن الوليد البجلى. والذى فى الخصائص والمزهر أن أسلم وغفاراً لم تقع بينهما مهاجاة. ومثله فى الموشح للمرزبانى وزاد أنهما من قبيلة واحدة ومثله أيضاً فى شرح القاموس إلا أنه ذكر فى إحدى الروايات أنهما تهاجتا مرة، وهو قوله تفرد به قائله .

[4] البيت لأبى نخيلة الأسدى. والدستية: المنسوبة إلى الدست، وهى الصحراء، وهى رواية اللسان، والذى فى الصحاح وأكثر كتب الأدب. برية، والمراد أنها بدوية لا تعرف الحضر ولا مآكله .

وعذره أنّه لم يعرض الفستق، وإنّما سمع به فظنّه من البقول، وهو ثمر شجرة . قال شارح القاموس : "وتمحّل بعضهم فقال : إنّما هو من النقول بالنون[1] قال الصاغانيّ : ولكنّ الرواية بالباء لا غير" انتهى . ولا ندرى ما الذى كان يأتينا به فى الرقاق لو أتسع له المجال فى البيت . ولو أنّا قدّرنا عكس هذه الحالة وأرينا هذا الأعرابيّ الرقاق والفستق قبل أن نخبره بهما لكان حقاً علينا أن نعذره كما عذرناه أوّلاً إذا رأيناه يعدل عن حقيقتهما إلى ما يصوّره ظنّه فيهما كما وقع للعرب فى وقعة أُلَيْس[2] لما استولوا على ما فى معسكر الفرس ، فجعل من لم ير الرقاق منهم يقول : ما هذه الرقاع البيض على ما حكاه ابن الأثير فى الكامل .

ومن طريف ما يروى عن ناهض بن ثومة ، وكان بدوياً جافياً ، أنّه نزل حلب وشهد فى ضاحيتها عرساً ، فلمّا رأى أحتشاد الناس ظنّهم فى أحد العيدين ، ثمّ تذكّر أنّه خرج من البادية فى صفر وقد مضى العيدان ، ولّما رأى العروس بين السماطين ظنّه أمير البلد فى يوم جلوسه للناس. ثمّ وصف ما رآه فى العرس على تصوّره ، فقال عن الموائد : "فلم أنشب أن دخل رجال يحملون هنات مدوّرات ، أمّا ما خفّ منها فيحمل حملاً ، وأمّا ما كبر وثقل فيدحرج فوُضع ذلك أمامنا ، وتحلّق القوم عليه حلقاً ، ثمّ أُتينا بخرق بيض فأُلقيت بين

---

[1] النقول جمع نقل، وهو ما يتقل به على الشراب. ولعله أراد بالمتمحل الجوهرى لقوله فى الصحاح: « ظن هذا الأعرابى أن الفستق من النقل ، وهكذا يروى بالباء ، وأنا أظنه بالنون لأن الفستق من النقل وليس من البقل» .

[2] فى نسخة الكامل لابن الأثير المطبوعة ببولاق (الليس) والصواب أليس (بضم الهمزة وتشديد اللام المفتوحة وسكون الياء) كما فى معجم البلدان لياقوت .

أيدينا فظننتها ثياباً، وهممت أن أسأل القوم منها خرقا أقطّعها قميصاً، وذلك أنّى رأيت نسجاً متلاحماً لا يبين له سَدًى ولا لُحْمة، فلمّا بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمزق سريعاً وإذا هو فيما زعموا صنف من الخبز لا أعرفه".

وقال عن العود: "وكان معنا فى البيت شاب لا آبه له ، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء ، فخرج فجاء بخشبة عيناها فى صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه ، ثمّ عرك آذانها وحرّكها بخشبة فى يده ، فنطقت وربّ الكعبة ! وإذا هى أحسن قينة رأيتها قطّ ، وغنّى عليها فأطربنى حتّى أستخفّنى من مجلسى ، فوثبت فجلست بين يديه وقلت : بأبى أن وأمّى ما هذه الدابّة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلاّ قريباً ؟ فقال: هذا البَرْبَط ، فقلت : بأبى أنت وأمّى ، فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير ، قلت : فالذى يليه ، قال : المَثْنَى ، قلت : فالثالث ، قال : المَثْلَث : قلت : فالأعلى ، قال : البَمّ ، فقلت : آمنت بالله أوّلاً ، وبك ثانياً وبالبربط ثالثاً ، وبالبَمّ رابعاً" انتهى .

ومن قبيل بيت الفتسق قول عمر بن أحمر الباهلىّ يصف امرأة بالغرارة:

لم تدر ما نسج اليَرَنْدَج قبلها ودراس أعوصَ دارسٍ متخدّد

يريد أنها غرّة لا تعرف نسج اليرندج، ولم تدارس الناس عويص الكلام الذى يخفى أحياناً ويتبيّن أحياناً، قالوا: ولم يعرض الشاعر أنّ اليرندج : جلد أسود تعمل منه الخفاف ، فظنّه ممّا ينسج ، والتمس بعضهم له مخرجاً فقال :

أراد بالنسج هنا : المعالجة والعمل . وقال آخر: بل أراد أنها لغرقها وقلة تجاربها ظنّت أن البرندج منسوج .

قلنا : ولا تخلل النصوص اللغويّة تساعد على الأوّل . أمّا الثانى فكما قال أبو هلال فى الصناعتين: إنّ ألفاظ البيت لا تدلّ عليه .

(ومن قبيله) قوله رؤبة :

بلى بلد ملء الفجاج قَتَمُهْ لا يُشترى كتّانه وجهْرَمُهْ

وجهرم : قرية بفارس تنسب إليها الثياب والبسط قال أبو عمرو والأصمعىّ: فظنّ رؤبة أنها ثياب، وردّ عليهما علىّ بن حمزة البصرىّ فى التنبيهات : بأنّه أراد كتّانة وجهرميّة، فقطع ياء النسب ، كما قال العجّاج :

يكاد يدرى القَيْقَبان المُسْرَجا

والقيقب : خشب تنحت منه السروج ، فنسب السرج إليه فقال القيقبانى ثمّ قطع ياء النسب .

وقد استشهد الوزير البطليوسىّ بهذا البيت فى شرح ديوان امرئ القيس، فذهب فيه مذهب أبى عمرو والأصمعىّ حيث قال: "وغلط فى الجهرم ظنّ أنها ثياب وهو بلد بفارس" .

(ومن قبيله) قول الراعى يصف امرأة تدّهن بالمسك :

تكسو المفارق واللِّبات ذا أرج من قُصب معتلِف الكافور درّاج

فجعل المسك من القصب ، وهو المِعَى ، وكأنه لَمّا سمع أنه من دابّة ظنّها تعتلف الكافور فيتحوّل فى أمعائها إلى مسك ويجتنى منها وخطّأه أبو حنيفة الديـــنورىّ فى كتاب النبات فى قوله يصف إبلاً :

لها فأرة ذفراء كل عشيّة كما فتق الكافور بالمسك فاتقُهْ[1]

فقال: "ظنّ أنه يفتق به، وكان الراعى أعرابيًّا قحًّا، والمسك لا يفتق بالكافور " ولكنّ علىّ بن حمزة البصرىّ ردّ عليه فى التنبيهات بقوله : "أمّا قوله : والمسك لا يفتق بالكافور فصحيح، ولم يقل الراعى كما فتق المسك بالكافور، وإن كان المسك لا يفتق بالكافور فإنّ الكافور يفتق بالمسك. وجعل الراعى أعرابيًّا قحًّا، ونسبه إلى الجفاء ، وأوهم أنّه قد غلط ، وخطّأه فى شئ لم يقله ، اللـــهمّ إلاّ أن يكون عند أبى حنيفة أنّ الكافور لا يفتق بالمسك ، ويكون قد غلـــط هـــو فى العبارة وعكسها ، فيكون فى هذه الحالة أسوأ حالاً منه فى الأولى، ويكون قليل الخبرة بالطيب وعمله واستعماله، ولا رائحة أنمّ[2] من الكافور إذا فتق بالمسك، يشهد بذلك بنو النعمة والعطارون قاطبة" انتهى.

(ومن قبيله) قوله رؤبة :

هل يعصمنّى حَلِف سِخْتيتُ أو فضّة أو ذهب كبريتُ[3]

---

[1] إذا رعت الإبل العشب وزهره، ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة، فيقال لتلك: فأرة الإبل. والذفر: شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن، والمراد هنا الأول. وفتق الطيب: خلطه بغـــيره لاستخراج رائحته .

[2] فى نسخة التنبيهات (١١ : ٢٠٤) : أخم بدل أنم، والسياق لا يقتضى الوصف بالرائحة الخبيثة المتغيرة، ولا نظنه إلا خطأ من النساخ، وصوابه: (أنم) كما أثبتناه، وهو من قولهم: نم المسك، إذا سطع .

[3] السختيت (بكسر فسكون): الشديد .

قال ابن الأعرابيّ والأصمعيّ وغيرهما : ظنّ رؤبة أن الكبريت ذهب . وفى العقد : سمع بالكبريت أنه أحمر فظنّ أنه ذهب. وفى شفاء الغليل : "وذكره رؤبة فى شعره بمعنى الذهب ، وخُطِّى فيه لأنّ العرب القدماء يخطئون فى المعانى دون الألفاظ .

قلنا : ولا يخرج ما فى اللسان عن ذلك ، ولكنه ذكر تفسير الكبريت بالذهب الأحمر فى قوله لبعضهم ، وهو كما لا يخفى يناقض ما اعترض به هؤلاء الأئمّة ، فلعلّه حدث بعد نظم البيت وبنى على ما فيه وثوقاً من قائله بالشاعر وليحقق .

(ومن قبيله) قول أبى ذؤيب فى وصف الدرّة:

فجاء بها ما شئت من لَطَمِيّة يدوم الفُرات فوقها ويموج[1]

قالوا : والدرّة لا تكون فى الماء العذب ، وإنما تكون فى الماء الملح، كذا فى اللسان والعقد والوساطة وما يجوز للشاعر فى الضرورة وغيرها. وذكر أبو هلال فى الصناعتين : أنّ من يحتجّ له يرى أنّ مراده ماء الدرّة، وقد وقفت فى شرح السيرافى على كتاب سيبويه على تفصيل لذلك بما نصه: "قال الأصمعى: هذا غلط ، وذلك أنه ظنّ أنّ اللؤلؤ يخرج من الماء العذب لبُعده عن مواضع اللؤلؤ ، ومعنى يدوم الفرات فوقها ويموج : أى يسكن مرة ويهيج أخرى

---

[1] اللطمية (بفتحتين) نسبة إلى اللطمية (بفتح فكسر) : وهى الدواب التى تحمل العطر والبز ونحوهما غير الميرة. ورواية اللسان فى (دوم): تدوم البحار الخ قال: ورواه بعضهم: يدوم الفرات، وهذا غلط لأن الدر لا يكون فى الماء العذب .

بالريح أو زيادة الماء . وذكر بعض أهل اللغة : أنّ هذا صحيح ، وأنّ الأصمعيّ هو الغالط ، وكيف يذهب هذا على أبي ذؤيب ، وهو من هذيل ، ومسكنهم جبال مكة المطلّة على البحر ومواضع اللؤلؤ ، وإنما أراد أبو ذؤيب بالفرات هاهنا ماء اللؤلؤة الذى قد علاها وجعله فراقاً ، إذ كان أعلى المياه ما كان فراقاً . وقوله : يدوم الفرات ، أى يسكن . ويموج ، أى يضطرب إنما أراد أنه يسكن فى الناظر مرّة ، ويضطرب أخرى لصفائها وبريقها ، وأن الماء هو ماء اللؤلؤة" انتهى .

(ومن ذلك) قول لَبيد:

ومقام ضيّق فرّجته بمقامى ولسانى وجَدَل

لو يقوم الفيل أو فيّاله زلّ عن مثل مقامى وزحل[1]

أى لو يقوم الفيل أو صاحبه فى هذا المقام لزلّ وتنحىّ ، ولم يثبت مثل ثباتى ، ولا معنى لذكر الفيّال هنا ، ولكنّه لّما سمع بعظم خَلْق الفيل وشدّة أيده، ظنّ أنّ لسانه مثل قوّته فأخطأ .

(ومنه) قول الآخر :

وألين من مسّ الرخامات يلتقى بمارنه الجادىّ والعنبر الورد

أنشده السيوطىّ فى المزهر ، ونقل عن القالى فى أماليه أنه قال : "غلط الأعرابىّ لأنّ العنبر الجيّد لا يوصف إلا بالشهبة .

---

[1] فى رواية أخرى: (زاح) بدل زل، ومعناه تنحى .

قلنا : البيت وارد فى الأمالى ، وهو من أبيات أوّلها: (سقى دمنتين ليس لى بهما عهد) وليس فى النسخة المطبوعة ما نقل فى المزهر من الانتقاد ، فلعـــلّ القالى ذكره فى كتاب آخر له .

(ومنه) قول خالد بن زهير :

وقَاسَمها بالله جَهْداً لأنتمُ ألذّ من السَلْوَى إذا ما نَشُورُها

ظنّ السلوى العسل فقال نشورها، أى تجنيها من الخلية . قال الزجّاج: أخطأ خالد إنّما السلوى طائر ، وتمحّل الفارسىّ فى الردّ عليه بأنّ السلوى كلّ ما سلاّك . وقيل للعسل : سلوى لأنّه يسليك بحلاوته ، وتأتّيه عن غيره ممـــا تلحقك فيه مؤونة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة انتهى ولا يخفى ما فيه .

القسم الثانى

وكما أنهم يخطئون فيما لم يَرَوْه ويعهدوه ، نراهم يخطئون أيضاً فيما نشأوا عليه، وألفوا رؤيته صباح مساء . ومأتى هؤلاء من تعرّضهم لما عرفوا جملته ، ولم يحيطوا بتفصيله ، لأنّ المعرفة تتفاوت كثرةً وقلّة بحسب ملابسة الأشياء ومجانبتها ، فمن كان أشدّ علاقةً بالشئ كان بالضرورة أخبر به وأبصر ممّن ضعفت علاقته به ، أو قصرت معرفته له على مجرّد الألف والمشاهدة . ألا ترى أنّ قيم الغراس لا يجهل السيف ، كما لا يجهله سائر العرب، ولكنا إذا اختبرناه فيه لا نصيب عنده من العلم به وبدقائق أجزائه ومختلف حالاته وصفاته ما نصيبه عند الطبّاع والصيقل . وكذلك نرى صاحب الظلف أعرف بالشاة والعنز منه بالفرس والبعير ، وصاحب الخيل أبصر بها من الملاح أو البزّاز ، وقس على ذلك سائر الأمور فى الكثير الغالب . ومن هذه الناحية تطرّق الخطأ لرؤبة فى قوله يصف فرساً ويذكر قوائمه :

بأربع لا يعتفنُ العَفْقا[1] يهوين شتّى[2] ويقعن وَفْقا

فجعله يضبر، أى يجمع يديه ثمّ يثب فيقع مجموعةً يداه، وهو عيب ، لأنَ الجياد من الخيل لا تقع حوافرها معاً ، وإنما المستحبّ من الفرس أن يسبح بيديه. ولمّا قيل له : أخطأت يا أبا الَجحّاف[3] جعلته مقيّداً يضبر ، قال: أى بنىّ لا علم لى

---

[1] اعتف الشئ: جهله. والعفق: شدة العدو .

[2] كذا فى اللسان والديوان والموشح وغيرها، ورواه الزجاجى فى أماليه: (مشى) .

[3] بفتح الجيم وتشديد الحاء المهملة كنية رؤبة .

بالخيل ، ولكن أدنى من ذنب البعير أصفه كما يجب، قال الأصمعيّ: فأدنى منه فلم يصنع شيئاً .

(ومثله) قول أبي النجم يصف فرساً أجراه في الحلبة :

يسبح أخراه ويطفو أوّله

قال الأصمعي: أخطأ في هذا لأنه إذا سبح أخراه كان حمار الكسّاح أسرع منه ، وإنّما يوصف الجواد بأنّه تسبح أولاه وتلحق رجلاه ، كذا في الأغاني . وفي العقد : أنّ اضطراب مؤخّر الفرس قبيح ، والوجه ما قال أعرابيّ في وصف فرس أبي الأعور السلميّ .

مرّ كلمع البرق ناظرهْ يسبح أولاه ويطفو آخره

فما يمسّ الأرض منه حافره

وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : "وكان أبو النجم وصّافاً للفرس وأخذ عليه في صفته يسبح أخراه ويطفو أوّله[1] " ثمّ ذكر قول الأصمعيّ ولم يزد، ولكنّ عليّ بن حمزة البصريّ نقل عن في التنبيهات قولاً عن غير الأصمعيّ فيه تصويب لما في الرجز، فلعلّه ذكره في كتاب آخر غير الطبقات . وعزا عليّ بن حمزة انتقاد الأصمعيّ الى تعصّبه على أبي النجم ومن يستقر كلامه في هذا الكتاب يجد عجباً من تعصّبه هو على الأصمعيّ وردّه ما يقول بحقّ وبغير حقّ ، وكان خيراً له أن يعتذر هنا لأبي النجم اعتذار رؤبة لنفسه .

---

[1] يستفاد من هذا أن كثرة وصف الشئ لا تعصم القائل من الخطأ فيه إذا لم يكن عليماً به .

(ومّما) خُطِّىء فيه أبو النجم ونبّه عنه ابن قتيبة فى طبقات الشعراء قوله فى وصف فرس:

كأنّها مِيجَنة القَصّار[1]

ولم يبيّن وجهه بسوى قوله: إنّ الميجنة لصاحب الأدَم، أى الجلد، وأنّها أيضاً التى يدقّ عليها الأدَم من حجر وغيره ، فإن كان يريد أنّها لا تكون لقصّار الثياب كما يؤخذ من كلامه وكلام أبى هلال فى الصناعتين فليس بشئ لأنّها تكون لكليهما ، وإن كان الخطأ فى تشبيه الفرس بها فربّما ولكن لم يظهر لنا وجهه .

(ومّما) أخطأ فيه أبو النجم أيضاً قوله فى الإبل :

وهى على عذب رويّ المنهل دَحْل أبى المرقال خير الأدْحُل

من نحت عاد فى الزمان الأوّل

ففى الأغانى : "قال الأصمعىّ : الدحل لا تورده الإبل إنّما تورد الركايا ، وقد عيب بهذا وعيب بقوله فى البيت الذى يليه : إنّ هذا الدحل من نحت عاد ، قال : والدُحْلان لا تحفر ولا تنحت إنّما هى خروق وشعاب فى الأرض والجبال لا تصيبها الشمس فتبقى فيها الماء ، وهى هوّة فى الأرض يضيق فمها ثم تتّسع فيدخلها ماء السماء ".

(ومّما) أخطأ فيه فى الإبل أيضاً قوله يصف ورودها :

---

[1] الميجنة (بكسر الأول): مدقة القصار وصانع الجلد، أى الخشبة التى يدق فيها .

جاءت تَسامَى فى الرعيل الأوّل والظلّ عن أخفافها لم يَفْضُل

فقوله : والظلّ لم يفضل عن أخفافها يدلّ على أنّها وردت المـــاء فى الهـــاجرة والعرب إنّما تصف الورود غلساً والماء بارد كقول الشاعر :

* فوردت قبل الصباح الفاتق *

وقول الآخر:

* فوردت قبل تبيّن الألوان *

وقول لبيد:

* إنّ من وردىَ تغليسَ النَّهَلْ *

(ومما) خطّأوا فيه أبا النجم قوله فى وصف راعى الإبل :

* صُلب العصا جافٍ عن التغزّل *

قالوا: ولا يوصف الراعى بالصلابة على إبلـــه. والعـــرب إذا أرادات وصفه قالت: (هو ضعيف العصا) كأنّه لحسن رعايته لا يحتاج إلى شدّة وغلظـة كما قال الشاعر :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا[1]

---

[1] الإصبع هنا: كناية عن الأثر الحسن، ويورى (أجدب) بدل أمحل، وقل ضمنه الشهاب الخفـــاجى فى قولـــه وأورده فى كتابه السوالح :

أى النيل فى مصر له كل منـــة على أهلها إذ عمم الخير أجمعـــا

أياديه قد فاضت وزاد له الوفا عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

صَدَى إبل أن تتبع الريح مـــرّة يدعها ويخفى الصوت حتّى تربّعا[1]

إذا سرحت من مبرك نام خلفها بميثاء مبطان الضُّحَى غير أروعا[2]

لها أمرها حتّى إذا ما تـــبوّأت بأخفافها مأوى تبوّأ مضجعـــا

فهذا ما توصف به حذّاق الرعاة. ومثله قول الراجز:

إذا الركاب عرفت أبا مَطَرْ مشت رويداً وأسفّت فى الشجر

لأنها ألفت منه الرفق بها وتركها ترعى كما تشاء . وقيل : لم يرد أبو النجـــم بصلابة العصا شدّته عليها، وإنّما أراد وصفه بصلابة الظهر وقوّة البدن ، كمـا يقال : فلان صلب القناة . وقيل : بل أراد أنّه صلب العصا على الحقيقـة لأنّ الراعي إذا كان جلداً صارماً اختار عصاه من أصلب مـا يقـدر عليـه، وإلاّ هلكت إبله وضاعت، وعبثت بها الوحوش والسابلة. وقد أطال علىّ بن حمـزة البصرىّ فى التنبيهات فى الأنتصار له بما لا يخرج عمّا ذكرناه .

وقد آن لنا أن ندع أبا النجم وننتقل إلى الملك الضّلّيل لـنرى كيـف ضلّ فى وصف فرسه فقال:

فللسوط ألْهُوب وللساق دِرّة وللزجر منه وقع أخرج مُهْذِب[3]

---

[1] صدى إبل، أى رفيق بسياستها، عالم بها وبمصلحتها، يقال: فلان صدى مال وصدى إبل إذا كان كذلك .

[2] الميثاء (بفتح الأول): الأرض اللينة السهلة .

[3] ويروى: (وللزجر منه وقع أهوج منعب) وهو من النعب، أى السير السريع .

الأهوب والدرّة : شدّة الجري : والأخرج ، الظليم. والمهذب: السريع العدو . أراد امرؤ القيس أن يصف فرسه بالسرعة ، فذكر أنّه يضربه بالسوط فيلهب ، ويركضه بساقه فيدرّ جريه ، ويزجره فيقع الزجر منه موقعه من الظليم فيعدو عدوه . قالوا : ولو استعين بهذه الأشياء على أخسّ حمار وأضعفه فعدا لم يستحقّ أن ينعت بالسرعة . ويقال : إنّ أوّل من عاب عليه هذا البيت امرأته أمّ جندب لّما احتكم إليها هو وعلقمة ابن عَبَدة الفحل في أيّهما أشعر ؟ فقالت : سمعتك زجرت وضربت وحرّكت ، وفرس ابن عبدة أجود من فرسك حيث يقول فيه :

فأقبل يهوى ثانياً من عنانه يمرّ كمرّ الرائح المتحلّب

فغلّبت علقمة عليه ، ولله درّ ابن المعتز فإنّه ذكر السياط ولكنّه احترس احتراساً حسناً فقال :

صبينا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

فقوله . ظالمين من أحسن ما يحترس به هنا .

(ومما) أخذ على امرئ القيس قوله في وصف فرس أيضاً :

لها متنتان خظاتا كما أكبّ على ساعديه النَّمِر[1]

---

[1] متنا الظهر ومتناه : مكتنفا الصلب ، وأراد بخظاتا : (خظاتان) فحذف النون ، أو أراد خظا فأشبع ، والكلام فيه لا يحتمله المقام .

ومعنى الحظاة : المكترة ، أراد لها متنان كثيرا اللحم كساعدي النمر البارك في الغلظ ، وليس هذا مما تمدح به الجياد ، وإنّما المستحبّ في المتن والوجه التعريق كما قال طفيل :

* معرّقة الألحى[1] تلوح متونها *

وفى اللسان. "ويستحبّ من الفرس أن يكون معروق الخدّين قال:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني جرداء معروقة اللحيين سُرْحوب

ويروى : معرقة الجنبين ، وإذا عرى لَحْياها من اللحم فهو من علامات عتقها ، وفرس معرّق : إذا كان مضمّراً ، يقال : عرّق فرسك تعريقاً ، أي أجره حتّى يعرق ويضمر ويذهب رهل لحمه " انتهى .

(وتبعه) أبو ذؤيب الهذلىّ فقال في فرس :

قصَرَ الصبوحَ لها فشُرّج لحمها بالنىّ فهى تنوخ فيها الإصبع[2]

تأبى بدرّتها إذا ما استكرهت إلاّ الحميمَ فإنه يتبضّع

أي قصر صاحبها عليها اللبن فسمنت حتّى شرَّج لحمها بالنىّ ، أي خلط بالشحم فلو غمزته بإصبعك تاخت فيه ، فجعلها كثيرة اللحم رخوة ، وهو عيب ، لأنّ الجياد توصف بقلّة لحمها وصلابته ، وأمّا الذي قاله فالأحرى به شاة يضحّى بها قالوا : وأخطأ في البيت الثاني أيضاً فقال : تأبى بدرّتها ، أي تأبي

---

[1] الألحى : جمع لحى ، وهو ما ينبت عليه العارض ، والمراد جانب الوجه.

[2] ويروى : (تنوخ) بالمثلثة ، وهما بمعنى ساخ في الشئ ، أي دخل وخاض فيه .

الجرى إذا أكرهت عليه فجعلها حروناً إذا حرّكت قامت ، وأخذ الحميم ، أي العرق ، يتبضّع منها ، أي يتفجّر ويسيل . قال أبو هلال في الصناعتين : وما وصف أحد الفرس بترك الانبعاث إذا حرّكت غير أبي ذؤيب ، وإنّما توصف بالسرعة في جميع حالاتها إذا حرّكت أو لم تحرّك ، فتشبّه بالكوكب والبرق والحريق والريح إلى آخر ما ذكره .

وقيل: كان أبو ذؤيب لا يجيد وصف الخيل فظنَّ أنّ هذا مما توصف به.

قلنا : وفي الذي أخذوه عليه في البيت الثاني نظر لأنّه علق إباءها على الإكراه ، والمعروف في صفة الفرس الجواد أنّك إذا حرّكته للعدو أعطاك ما عنده عفواً ، فإذا أكرهته بساق أو بسوط لتحمله على الزيادة حملته عزّة نفسه على ترك العدو فهو يقول : إنما تأبى بدرّها عند إكراهها ولا تأبى العرق ، كذا في اللسان وشرح ديوانه .

(ومنه) قول سلمة بن الخرشب :

إذا كان الخزام لقُصْرييه أماماً حيث يمتسك البَرِيم[1]

قال القاضي الجرجاني في الوساطة : "يقول : إن الخزام يقرب في جولانه إذا أكثر من عدوه فيصير أمام القصريين . قال الأصمعيّ : أخطأ في

---

[1] القصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، والرواية في نسخة الوساطة : (لقصرييها) ولا يخفى أنه يذكر فرساً ذكراً فالوجه (لقصرييه) وإلا لا يصح الانتقاد . والبريم هنا: خيط تعقد عليه العوذة ويعلق على صدر الفرس (راجع مادة جلب في اللسان ص ٢٦٤).

الوصف لأنّ خير جرى الإناث الخضوع ، وإنّما يختار الإشراف في جـــري الذكور ، فإذا اختضعت تقدّم الحزام كما قال بشر بن أبي خازم :

تسوّق للحزام بمرفقيها يسدّ خواء طبييها الغبار[1]

وقد ساعد متمّم بن نويرة على هذا الوصف سلمة فقال:

وكأنه فوق الحبائل جانباً ريم تضايقه كلاب أخضع[2]

فوصف الذكر بالخضوع وإنّما يختار له الإشراف " انتهى .

(ومنه قول عديّ بن زيد في صفة فرس :

فصاف يفرّي جُلّه عن سراته يبذّ الجياد فارهاً متتابعا[3]

أي صاف هذا الفرس يشقّ جلّه عن ظهره من السمن . قالوا : وقـــد اخطأ في قوله فارهاً لأنّه لا يقال لفرس : فاره ، وإنّما يقال له : جواد وكـــريم وعتيق ، وأمّا الفاره فالكودن والحمار والبغل . وفي لسان العرب "زعم أبـــو حاتم أنّ عديًّا لم يكن له بصر بالخيل وقد خُطّئ عديّ في ذلك ". ووقفـــت في نبذة عندي مخطوطة منقولة من الفوائد النجفيّة لسليمان بن عبد الله البحـــرانيّ

---

[1] الخواء (بالفتح) : الفرجة التي بين رجلي الفرس ، ويقال أيضاً : دخل فلان في خواء فرسه : يعني ما بين يديه ورجليه . والطبي (بضم الأول وكسره وبسكون الثاني) : حلمة الضرع .

[2] الأخضع : المطاطئ الرأس وهو صفة للريم ، وجاء في حواشي نسخة لوساطة "وفي نسخة ثانية فوق الجوالب بدل فوق الحبائل" وليتحقق هذا الشطر.

[3] رواية (جله) هي المذكورة في مادة فره من اللسان وفي كتب الأدب كالعقد وغيره . وروى (جلده) في مادة فرا من اللسان وفسره بأنه صاف يكاد يشق جلده عما تحته من السمن . والتتابع : الإسراع.

على نقول من كتاب لحن العامّة لأبي حاتم السجستانيّ ، منها قوله : "ويقال : فرس رائع ولا يقال : فاره ، الفاره للحمار والكلب ، وفي شعر عديّ فارهاً متتابعاً فسألت الأصمعيّ عنه فقال : لم يكن صاحب خيل ، قلت : فيقال : برذون فاره ، فقال : لعله ، ولعلّه يقال في البختيّ".

(ومّمن) أخطأ بوضع الغلظ موضع الدقّة كعب بن زهير في قوله يصف الناقة :

ضخم مقلّدها عبل مقيّدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

فقد عدَّ أبو هلال في الصناعتين قوله : ضخم مقلّدها من خطإ الوصف لأنّ النجائب توصف بدقّة المذبح ، وهو قول غيره من الأئمّة أيضاً .

(ومثله) قول الشمّاخ في ناقته :

فنعم المُعْتَرَى ركدت إليه رحا حيزومها كرحا الطحين[1]

الحيزوم : الصدر . والرحا الأولى : الكركرة ، وهي ما يمسّ الأرض من صدر البعير إذا برك ، شبّهها في العظم بالرحا التي يُطحن بها . قال المرزبانيّ في الموشّح : وإنّما توصف النجائب بصغر الكركرة ولطف الخفّ . وذكر ابن رشيق في العمدة : أنّ الأصمعيّ خطّاه في هذا لأنّه ظنّه يصفها بالكبر ، وهو عيب لا محالة ، وإنّما وصفها بالصلابة لاغير . وفي الصناعتين لأبي هلال : "وقال : من احتجّ للشمّاخ إنّما شبّهها بالرحا لصلابتها كما قال:

---

[1] المعترى بصيغة اسم المفعول : المقصود طلباً لمعروفه . وركدت : سكنت وهدأت .

" قلائص يطحنّ الحصا بالكراكر "

(وأخطأ) أبو النجم في وصفه بالقصر ما يوصف بالسبوطة ، فقال في البعير :

" أخنس فس مثل الكظام مخطمهْ "

الأخنس : القصير الأنف . والمخطم : الأنف ، يقول : كأنّ أنفه لقصره مشدود بحبل . قال أبو هلال : إنّه من خطإ الوصف لأنّ المشافر إنّما توصف بالسبوطة .

(ومن) وضع الشئ في غير موضعه قول المتلمّس[1]

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره   بناجٍ عليه الصَّيْعَريّة مكدم

الناحي هنا : البعير السريع . والصيعريّة : سمة للإناث خاصّة توسم بها الناقة في عنقها ، وهو وسم لأهل اليمن فأخطأ المتلمّس في جعلها للفحول وسمعه طرفة بن العبد ، وهو صبيّ ، يشند هذا البيت فقال : (استنوق الجمل أي صار ناقة ، فضحك الناس وسار قوله مثلاً .

(وقال) لبيد:

ولقد أغوِص بالخصم وقد   أملأ الجفنة من شحم القلل

---

[1] نسبه المرزباني في الموشح للمسيب بن علي ، وذكر أن قصة طرفة كانت معه ، ومثله في الموازنة للآمدي واللسان وسر الفصاحة . ونسب للمتلمس في الصناعتين وطبقات الشعراء لابن قتيبة والعقد الفريد وما يجوز للشاعر في الضرورة للتميمي.

أعوص به ، أي ألوى عليه أمره والقلل : جمع قلّة ، وهي أعلى السنام. قال أبو هلال والمرزبانيّ : أراد السنام ولا يسمى السنام شحماً .

(ومن) الخطإ في المعاني ما رواه المرزبانيّ في الموشّح قال : قال الأصمعيّ: قرأت على أبي عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبيانيّ فلمّا بلغت قوله :

مقذوفة بدَخِيس النحض بازلُها له صريف صريف القَعْو بالمَسَد[1]

قال لي : ما أضرّ عليه في ناقته ما وصف ، فقلت له : وكيف ؟ قال : لأنّ صريف الفحول من النشاط ، وصريف الإناث من الإعياء والضجر ، كذا تكلّمت العرب ، فرآني بسكونيّ مستزيداً فقال : ألم تسمع قول ربيعة بن مقروم الضبيّ :

كِناز البَضِيع جُماليّة إذا ما يغمن تراها كَتُوما[2]

وكما قال الأعشى :

كتوم الرُّغاء إذا هَجَّرت وكانت بقيَّة ذَوْد كُتُم[3]

وكما قال الأعشى أيضا :

---

[1] دخيس النحض : اللحم الكثير المكتنز ، يريد أنها ناقة سمينة . وقوله :بازلها أي نابها له صوت كصوت القعو بالمسد ، أي البكرة بالحبل .

[2] معناه : أنها ناقة كثيرة اللحم تشبه في خلقها الجمال تراه لا تبغم إذا بغمت النوق من الإعياء.

[3] هجرت : سارت في الهاجرة والذود : النوق ما بين الثلاث إلى العشر على الأشهر . ومثله قول الآخر (كتوم الهواجر ما تنبس) . وقول الطرماح :

قد تجاوزت بهلواعة عبر أسفار كتوم البغام

والمكاكيك والصحاف من الفضّة   واضـ'ـرات تحت الرحال[1]

انتهى . قلنا : والنصوص اللغويَّة التي وقفنا عليها تؤيّد ما ذهب إليه ابن العلاء ، وهو ما حكاه أيضا الوزير أبو بكر البطليوسيّ في شرح ديوان النابغة ، غير أنه ذكر قولا آخر عن أبي زيد بأنّ الصريف يكون في الإناث والفحول من النشاط ومن الإعياء ، قال : والبيت لا يحتمل أن يكون إلا من النشاط . ثم نقل قولا آخر عن القُتبِيّ بأن الناس يغلطون في مراد النابغة ، فيقولون : إنه وصفها لذلك لنشاطها ، وليس هو كذلك ، ولكنه أراد أنّى تركتها بعدما كانت فيه من الشدَّة يصرف نابها . والصريف : إذا كان من الإناث فهو من الإعياء .

(ومنه) قول بَشامة بن الغدير يصف راحلته :

وصدر لها مهيع كالْخَليفِ   تخال بأنّ عليه شَلِيلا

أي لها صدر واسع كالطريق في الجبل تخال عليه مسحا من صوف ، أو شعر ، لكثرة ما عليه من الوبر . قال ابن رشيق في العمدة : إن الأصمعيّ خطّأه فيه لأن من صفة النجائب قلّة الوبر .

(ومنه) قول عمر بن لَجا من أرجوزة وصف فيها إبله ، فجعلها كالجبال في عظم الخلق ، ثم قال في فحلها :

* كالظِّرِب الأسود من ورائها *

---

[1] المكاكيك : مكوك ، وهو طاس للشرب أعلاه ضيق ووسطه واسع . والضامزات : التي لا ترغو.

والظرب : الجبل الصغير ، ولا يوصف الفحل بأنه أصغر من إناثـــه في الخلقة ، وقد عابه عليه جرير ، فكان أحد الأسباب التي أهاجت الهجاء بينهما. وتفصيل الكلام في ذلك في خزانة البغداديّ (١: ٣٦١).

(ومنه) قول طَرَفَة بن العَبْد في وصف نعجة :

من الزَّمِرات أسبل قادماها وضرَّتها مركَّنة دَرُور

الزمرات : القليلات الصوف ، وخصَّها بالذكر لأنها أغـــزر ألبانـــا . والقادمان: الخِلْفان اللذان في الأمام ، ويقال لما وراءهما : الآخران . والمركَّنة: التي لها أركان . والدرور : الكثيرة الدرّ .

يقول : هذه النعجة أسبل خلفاها القادمان ، وضرّتها مملوءة تدرّ باللبن، وهذا من الخطأ ، لأن النعجة ليس لها إلاّ خلفان ، وإنما يصحّ ذلك في الناقة ، لأنّ لها أربعة أخلاف قادمان وآخران . قال المرزبانيّ في الموشّح بعـــد أن أورد هذا البيت : "ولا يكون القادمان إلاّ لما له آخران، وتلك الناقـــة لهـــا أربعـــة أخلاف . ومثله قول امرئ القيس :

إذا مُشَّت قوادمها أرنَّت كأنّ الحيّ بينهم نَعِيّ "

انتهى . قلنا : هو من أبيات قالها لّما نُهبت إبله ، ووهبه بنو نبهان معزى بدلها. والمعنى : إذا مُسحت قوادمها عند الحلب صاحت كما يصيح قوم لنعيّ أتاهم . والخطأ على هذه الرواية كالخطأ في قولها طَرَفة، لأنّ المعزى ليس لها إلاّ خلفان، وهي رواية تفرّد بها المرزبانيّ والمعروف : (إذا مشّت حواليها) ويروى : (إذا ما

قام حالبها) . وما أحسن ما عزّى امرؤ القيس به نفسه في ختام هذه الأبيـــات فقال :

فتملأ بيتنا أقِطًا وسمنا وحسبك من غنّى شبع وريّ

(ومنه) قول رؤبة:

وكلّ زَجّاء سُحام الخَمْل تبرى له في زعلات خُطْل[1]

الزجّاء : النعامة . وسحام الخمل : سوداء الريش . وتبري : أي تنبري وتتعرّض . والزعلات : الخطل النشيطات المضطربات . يقول : هذه الإنـــاث من النعام تنبري وتتعرّض للظليم ـــ أي ذكرها ـــ وهي في طائفة من نوعـــها نشيطات مضربات بالتلوّي والتبختر . قال أبو هلال وابن عبد ربّه وابن قتيبة: أخطأ في جعله للظليم عدّة إناث كما يكون للحمار ، وليس للظليم إلاّ أنثـــى واحدة.

(ومنه) قول ذي الرمّة يصف حُمُراً وحشيّة:

فأقبل الحُقْب والأكباد ناشزة فوق الشراسيف من أحشائها تجب

حتّى إذا زلجت عن كلّ حنجرة إلى الغليل ولم يقصعنه نُغَـــــب

رمى فأخطأ والأقدار غالبـــة فانصعن والويل هِجّيراه والحَـرَب

---

[1] الزعلان (بالزاي) عن الديوان وشرحه ، وورد في بعض الكتب الرعلات (بالراء) ولعلها رواية أخرى ، والرِعلة : النعامة.

معناه : أقبلت الحقب ــ أي الحُمُر ــ وأكبادها تضطرب خوفا من الصائد حتّى إذا وردت الماء ودخلت منه تغب إلى أجوافها لم تكسر غليلها رماها فأخطأها وتفرّقت عنه قال أبو عمرو والأصمعيّ : وليس هذا من جيّد الوصف لأنها إذا شربت ثقلت وإن كانت لم ترو : يريدان أنّ الثقل يقلّل نشاطها في العَدْو ويمكّن الصائد منها ، فكأنّه وصفها بما يفيد عكس ما أراد . وقد أصاب عليّ بن حمزة البصريَ في الردّ عليهما في التنبيهات بما نصّه : "وهذا غلط إنّما تثقل إذا رويت، وأمّا إذا شربت قليلا فإنّه يقوّيها على العَدْو، ولولاه لهلكت عطشا . وقد زاده شرحا بقوله في غير هذه الكلمة :

فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها وقد نشحن قلا ريّ ولا هيمُ[1]

ولولا صحة ما قال لم يقل العجّاج:

حتى إذا ما بلّت الأغمارا ريًّا ولّما تقصع الأصرارا

أجلى نفارا وانتحت نفارا "

انتهى . (ومنه) قول رؤبة :

كنتم كمن أدخل في حُجْرٍ يدا فأخطأ الأفعى ولا قى الأسودا

يريد : نجوتم من شرّ فوقعتم في أشدّ منه . قالوا : وقد أخطأ في ظنّه الأفعى دون الأسود ، وهي أشدّ مضرّة ونكاية منه .

(وممّا) خطّأوا فيه المسيّب بن علس قوله :

---

[1] أي ذهبت هذه الحمر الوحشية هاربة بعد أن شربت شرباً قليلاً لم تقطع به عطشها فهي لا رواء ولا عطاش.

وكأنّ غاربها رباوة مَخْرِم وتمدّ ثنى جديلها بشراع

أراد وصف هذه الناقلة بطول العنق وتشبيهه بالدَقَل[1]، وهو خشبة طويلة تشدّ في وسط السفينة يمدّ عليها الشراع فقال : كأنّ زمامها ممدود بشراع لطول عنقها ، فأخذوا عليه ذكره الشراع بدل الدقل . وقال بعضهم : إنّما أراد بالشراع : الدقل إذ كان الشراع منوطاً به ، ومثله لا يعدّ خطأ ، ولمن يريد أن يخطّئه من وجه آخر أن يقول : أراد أن يمدحها فذمّها لأنّ طول العنق في الإبل هجنة عند أبي عمرو والأصمعيّ ، وكانا يعيبان على رؤبة قوله في وصف بعير :

عن دوسريّ يَتِع ململمهْ في جسم خدل صلهبيّ عَمَمُهْ[2]

غير أنّ علّى بن حمزة البصريّ خطّأهما في هذا الزعم فقال في التنبيهات "قولهما طول العنق هجنة ردّ على كلام العرب المأثور ، وشعرهم المشهور ، لا على رؤبة وحده ، وهذا سبيلٌ من ركبه ضُلّل ، ومن نصره جُهِّل " ثمّ أورد قول من قال : (أبين الإبل عتقا أطولها عنقا) وساق عشرين شاهداً من كلام العرب تفنّد ما ذهبا إليه .

(ومنه) قول أيمن بن خُرَيْم[3] يمدح بشر بن مروان :

---

[1] الدقل (بفتحين) : هو ما يسمى عند الملاحين بالصاري على ما في اللسان .

[2] جمل دوسري : قوي ضخم ذو هامة ومناكب . ويتع الململم : أي طويل العنق مع شدة مفرزة . والخدل : العظيم المتلئ . والصلهبي : الشديد . وعممه : أي تامه.

[3] بالراء مصغراً .

وإنّا قد رأينا أمّ بشر كأمّ الأُسْد مذكاراً ولودا[1]

قالوا : أخطأ في أن جعل أمّ الأسد ولوداً لأنّ الحيوانات الكريمة عسرة نزرة النتاج ، والصواب قول كُثَيِّر :

بُغاث الطير أكثرها فراخًا وأمّ الصقر مِقْلات نَزُور

كذا في الموازنة والصناعتين ، وهو المعروف المشهور.

ومثله ما أنشده صاحب اللسان في مادّة (قلت) لبعضهم:

لنا أمّ بها قَلْتٌ ونزر كأمّ الأُسْد كاتمة الشّكاة

(ومنه) قول العجّاج يصف بعيره :

كأنّ عينيه من الغؤور قَلْتان أو حوجلتا قارور

صيّرتا بالنضج والتصبير صلاصلَ الزيت إلى الشطور

القلت (بفتح السكون) : النقرة في الجبل تمسك بالماء . والحوجلة القارورة . والصلاصل هنا : بقايا الزيت ، شبّه عينيه حين غارتا بقارورتين بقي ما فيهما من الزيت إلى نصفيهما بسبب النضج . قالوا : وقد أخطأ لأنّه جعل الزجاج ينضج ويرشح ، وإنّما تنضج الجرار ونحوها .

(ومنه) قول يزيد بن محمّد المهلّبيّ من أرجوزة :

حتّى إذا السرب انبرى فاجتهدا حطّت عليهنّ البُزاة مددا

---

[1] رواية قدامة في نقد الشعر : (وإنا قد وجدنا).

تجمع منها كلّ ما تبـــــدّدا تصيد بحراً وتصيد جدَدا

من كلّ ما أحببتَ أن تَصَيَّدا سَمكةً أو طائراً أو أسدا

قال المزربانيّ في الموشّح : "قال محمّد : أحال في هذا البيت لأنه ذكر الـــبزاة ، وليس السمك من صيد البزاة ".

(ومنه) قول حُمَيد بن ثَوْر[1]

لّما تخايلت الحمول حسبتها دَوْماً بأيلةَ ناعماً مكموما[2]

والتكميم لا يكون إلاّ في النخل ، وهو أن تجعل الكبائس في أكمّة تصونها كما تجعل عناقيد الكرم في الأغطية كما في المخصّص . ولم يكن هذا العربيّ يجـــهل النخل والدوم ، ولكنّه لّما رآهم يكمّون النخل ورأى الدوم يشبهه ظنّ أنّه يكمّ مثله لجهله بالغرس وتعهّد أنواع الغرس . قال التميميّ في ما يجوز للشـــاعر في الضرورة : ومن يحتجّ له يرويه : (نخلاً) .

وفي معناه قول النابغة الجعديّ :

كأنّ تَوالِيهَا بالضحى نواعم جَعْل من الأثأب[3]

وقد أخطأ فيه أيضاً ولكن من وجه آخر لأنّه شبّه المطيّ بصغار النخل ، والوجه أن توصف بالكبر والعظم كما فعل حميد . قال القاضي الجرجـــانيّ في

---

[1] كذا في ما يجوز للشاعر في الضرورة ، ونسبه في العقد الفريد لأبي الطمحان القيني.

[2] أيلة (بالتحتية) : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام . وفي بعض الروايات في البيت (أثلة) بالمثلثة، وهو موضع قرب المدينة ، وتطلق أيضاً على قرية بالجانب الغربي من بغداد.

[3] توالي الخيل والإبل : مآخرها ، وكذلك توالي كل شيء . والأثأب : ضرب من الشجر .

الوساطة : "والجَعل : صغار النخل ، وإنّما المراد الكبار ، وبه يصحّ الوصف فيما زعموا " انتهى .

وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة : أنّ الذى أُخذ عليه فيه جعله الجَعْل من الأثْأب ، قال : "ولا أراه إلاّ صحيحاً على التشبيه ، كأنّه أراد نواعم أثْأب كالجَعْل ، وقد تسمّى العرب الشئ باسم الشئ إذا كان له مشبهاً ، ولعلّ الأثأب أن تكون تسمّى أفناؤه[1] جَعْلاً، كما تسمّى أفناء النخل وقصاره جعلاً" انتهى ولا يخلو من نظر .

(ومنه) قول المَرّار بن مُنقذ يصف نخلاً :

كأنّ فروعها في كلّ ريح جوارٍ بالذوائب ينتصينا

يريد : كأن هذه النخل إذا أمالتها الريح وتلاقى سعفها جوار يتنازعن ويتبارين بأن تأخذ الواحدة بناصية الأخرى فذهب أبو عمرو الأصمعيّ إلى أن المرّار لم يكن له علم بالنخل في وصفها بتقارب النّبْتات لأن أفضل الغرس ما بُوعد بينه. ومّما وضعته العرب على ألسنة الأشياء قول النخلة الأخرى :

أبْعِدِي ظِلّي من ضِلّكِ أَحْمِلْ حَمْلي وحَمْلَكِ

وتبعهما أبو حنيفة الدينوريّ في كتاب النبات ، فقال في تفسير هذا البيت:

هذا من التقارب حتّى ينال سعف بعضه سعف بعض ، وذلك هو الحَصَر ، أي التضايق وردّ عليهم عليّ بن حمزة البصريّ في التنبيهات بكلام طويل خلاصته:

---

[1] كذا بالنسخة ، ولعل الصواب : (ألفاء) بالمثناة الفوقية جمع الفئ من الحيوان وتوسع هنا فأطلقه على النبات.

أنّ الحَصَر تقارب ما بين الأصول وهو مذموم ، وخطّأهم في زعمهم أنّ النخل يتناصى من الحصر لأنّ سبيله أن يباعد بين غرسه ، ولكن من جيّد نعته أن يمتدّ جريده ويكثر خوصه ويتّصل بعضه ببعض حتّى لا تُرى منه الشمس ، ويمنع الطير من أن تشقّه ، وإنّ ما روى عن الأصمعيّ على لسان النخلة نقله عنه أبو حنيفة، وهو مخالف لما نقله عنه أبو حاتم فقال : "قال الأصمعيّ : في مَثَل للفرس والنبط : تقول النخلة لأختها : تباعدي عنّي ، وأنا أحمل حملك وحملي " أي فلم يذكر فيه تباعد الظلّ . ثمّ صوّب قول المرّار وقال : لا شئ أحسن من هذا الوصف للنخل ، واستشهد على صحة كلامه بقول ذكوان العكليّ :

نواضرَ غُلْباً قد تدانت رءوسها ... من النبت حتّى ما يطير غرابها[1]

ترى الباسقات العمّ منها كأنّها ... ظعائن مضروب عليها قبابها[2]

بعيدة بين الزرع لا ذات حشوة ... قصار ولا صعل سريع ذهابها

(ومنه) قول أوْس بن حَجَر :

كأنّ ريقتها بعد الكري اعتبقت ... من ماء أدكن في الحانوت نضّاح[3]

ومن مشعشة كالمسك تشربها ... أو من أنابيب رمّان وتفّاح

قال أبو هلال في الصناعتين : " ظنّ أنّ الرمّان والتفّاح في أنابيب وقيل : أنّ الأنابيب : الطرائق التي في الرمّان ، وإذا حمل على هذا الوجه صحّ المعنى".

---

[1] الغلب : جمع غلباء ، وهي الحديقة المتكالفة الملتفة .

[2] العم من النخل : التامة في طولها والتفافها.

[3] أي من خمر دن أدكن اللون .

(ومنه) قول بعضهم في وصف سيف :

* وأبيض أخْلِص من ماء اليَلَبْ *

قال ابن مُنْقذ في كتاب البديع : "والسيوف لا تعمل من ماء اليَلَب لأن اليَلَب جلود تتّخذ منها دروع منسوجة فتوهّم الشاعر أنّها حديد". ورواه القاضي الجرجانيّ في الوساطة : (ومِحْوَر) بدل وأبيض ، ولعلّ المراد الحديدة التي تدور عليها البكرة ، وقد خطّأه فيه أيضاً فقال : "جعل اليلب حديداً وهي سيور".

قلنا : هما تابعان في ذلك لابن دُرَيد لأن اليلب ليس عنده الحديد . وذهب غيره إلى أنه الحديد ، وفسّره به في قول عمرو بن كلثوم:

علينا البَيْض واليلب اليماني وأسياف يقمن وينحنينا

وعلى هذا فلا خطأ ، ولكنّ ابن السِّكّيت خطّأ الراجز من وجه آخر فقال بعد ذكره لبيت ابن كلثوم : سمعه بعض الأعراب فظنّ أنّ اليلب أجود الحديد فقال: (ومحور أخلص من ماء اليلب) وهو خطأ إنّما قاله على التوهّم . انتهى .

(ومنه) قول زهير :

يحيل في جدول تحبو ضفادِعه حبوَ الدجواري ترى في مائه لُطُقا[1]

يخرجن من شَرَبات ماؤها طَحِل على الجذوع يخفن الغمّ والغرقا[2]

---

[1] اللطق : الطرائق التي تعلو الماء.

[2] الشربات: جمع شربة (بفتحتين) وهي كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملأ ماء لتروى منه.

ففي العقد والوساطة والموشّح وسرّ الفصاحة والموازنة والصناعتين وطبقات الشعراء لابن قتيبة : أنه أخطأ في ظنّه أنّ الضفادع تخرج من الماء مخافة الغمّ والغرق، وإنما تخرج لتبيض وتفرخ في الشطوط . وقال الأعلم في شرحه لديوان زهير : "قوله: يخفن الغمّ والغرقا توّهم أن خروج الضفادع مخافة الغرق فغلط ، ويقال : إنما قال ذلك ليخبر بكثرة الماء وانتهائه ، فأشار إلى ذلك بذكره الغرق وإن كانت لا تخاف ذلك : . ونحوه في العمدة لابن رشيق ، وخلاصة ما قال : إنّه لم يرد أنّها تخاف الغرق على الحقيقة ، وإنما أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات ، واقتدى فيه بقول أوس بن حجر :

فباكرن جوناً للعلاجيم فوقه مجالس غرق لا يُحَلأ ناهلُه[1]

(ومّما أخذوه) على طرفة قوله في وصف ناقته :

وأتلع نهّاض إذا صعّدت به كسُكّان بوصيّ بِدجْلة مُصْعِد

أراد : لها عنق أتلع : أي طويل يرتفع إذا أشخصته في سيرها ، فهو كسكّان سفينة مصعدة في دجلة ، والسكّان (بضم الأوّل وتشديد الكاف) : ذنب السفينة الذي يقوّم به سيرها ويعدّل ، ويقال له أيضاً : الخيرزانة والكوثل . وتسمّيه العامّة بمصر الآن (الدَّفّة) فذهب القاضي الجرجانيّ في الوساطة إلى أنّه أخطأ ، لأنه أراد تشبيه عنقها بالدَّقَل : أي خشبة الشراع ، فذكر بدله السكّان.

---

[1] العلاجم هنا : الضفادع ، واحدها علجوم . وحلأه عن الماء : طرده ومنعه .

قلنا : ولا ريب في خطئه إذا كان أراد ذلك ، غير أنّ البيت يحتمل وجهين آخرين لا خطأ فيهما ، أحدهما : أن يكون شبهّه بالسكّان نفسه ، أي الذنب لا الدقل ، وهو ما يؤخذ من معاجم اللغة وشروح المعلّقات التي بأيدينا. والثاني : أن يكون شبهّه بالسكّان مريداً به شيئاً آخر غير الذنب ، وهو المفهوم من شرح الأعلم الشنتمريّ لديوان طرفة ، فقد فسّر السكّان في هذا البيت بعود المركب. والمتبادر أنّه يريد بالعود شيئاً كالدقل، أي (الصاري) وهو تفسير كاد يتفرّد به، ولم نقف على ما يماثله سوى في قول عليّ بن حمزة في التنبيهات: "شبّه عنقها بسكّان سيفقة من سفن دجلة ، وربّما كان أطول من الدقل وشرّ أحواله أن يكون بطول الدقل" انتهى . فدلّ بقوله هذا على أنّه شيء يشبه الدقل ، ولكنه أطول منه، وقد يكون بطوله في أقلّ حالاته، ولا يخفى أنّ الذنب له طرف ناقم ، ولكنّه لا يبلغ في حال من الأحوال مثل هذا الطول، فلا ريب في أنّ المراد بالسكّان في هذا القول شيء غيره ، ولعلّه العود الطويل الذي يمدّ عليه الشراع ثمّ يناط معترضاً بالدقل . وتسمّيه العامة بمصر : (القَرْية) فإنّها تكون عادة أطول من (الصاري) ، وهي محرّفة عن (القَرِيّة) بفتح فكسر وتشديد الياء . وقد فسّرت في اللغة بعود الشراع الذي في عرضه من أعلاه ، غير أنّنا لم نر من نصّ على تسمية هذا العمود بالسكّان أيضاً فليحقّق .

(ومنه) قول عنترة :

وخلا الذباب بها فليس ببارح ... غَرِداً كفعل الشارب المترنّم

هَزِجاً يحكّ ذراعه بذراعه ... قَدْحَ المكبّ على الزناد الأجذم

أي أنّ الذباب يصوّره حال حكّه إحدى ذراعيه بالأخرى ، مثل قدح رجل ناقص اليد قد أقبل على قدح الزناد . وجاء في مجنّة البيان للعلامة اليازجيّ : أنّ صوت البعوض والذباب والنحل وأشباهها يحدث من اهتزاز أجنحتها في الهواء على حدّ ما يكون من أجنحة الحمام وعلى هذا ففي قول عنترة تناقض ظاهر لأنّه لايمكن أن يحكّ الذباب إحدى ذراعيه بالأخرى إلاّ وهو واقع ، ومتى كان واقعا تكون أجنحته ساكنة فلا يمكن أن يصوّت، ولكنّ عنترة توّهم أن صوته من حنجرته فلم يمتنع عنده الجمع بين هاتين الحاليتين . انتهى بمعناه وأكثر لفظه .

القسم الثالث

ومن أسباب الوهم في المعاني استهواء المبالغة للشاعر، وتجاوزها به حدًّا إذا تعدّاه عكس عليه مقصده ، كما فعل امرؤ القيس لّما أراد المبالغة في وصف ذنب فرسه بالطول فقال:

لها ذنب مثل ذيل العروس تسدّ به فرجها من دُبُرْ

يريد بالفرج : الفضاء الذي بين الرجلين ، وإذا كان الذنب كثيفاً طويلاً سدّ هذا الفضاء حتّى لا يبين . وطول الذنب مستحبّ في الخيل ، ومن دلائل عتقها وكرمها ، ولكن إلى حدّ ألاّ يكون كذيل العروس يُجرّ على الأرض لأنه إذا بلغ الأرض وطئه الفرس برجله وربما عثر به ، وهو عيب وتبعه في ذلك من المولّدين البحتريّ فقال :

ذنب كما سُحب الرداء يذبّ عن عُرْف وعرف كالقناع المسبل

والجيّد من ذلك قول امرئ القيس في المعلّقة:

ضليع إذا استدبرته سدّ فرجه بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزل

فوصفه بالطول إلاّ أنّه جعله فويق الأرض فلم يقع فيما وقع فيه في بيته المتقدّم. أمّا كونه أراد في ذلك البيت بذيل العروس الطول المذموم فهو ما ذهب إليه ابن سنان في سرّ الفصاحة وعابه عليه. وقال ابن رشيق في العمدة : "أراد طوله لأنّ العروس تجرّ ذيلها إمّا من الحياء ، أو من الخيلاء " ؟. ومن يحتجّ له يقول إنّما أراد بهذا الوصف الكثافة والطول الممدوح ، وهو رأى الآمديّ ، ونصّ

عبارته في الموازنة[1] : "وما أرى العيب لحق امرأ القيس في هذا لأنّ العروس وإن كانت تسحب ذيلها، وكان ذنب الفرس إذا مسّ الأرض عيباً فليس بمنكر أن يشبّه به الذنب وإن لم يبلغ أن يمسّ الأرض لأنّ الشيء إنّما يشبّه بالشيء إذا قرب منه أو دنا من معناه ، فإذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صحّ التشبيه ولاق به ، وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبّه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط ، وإنّما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ، ألا تراه قال : (تسد به فرجها من دبر) وقد يكون الذنب طويلاً يكاد يمسّ الأرض ولا يكون كثيفاً ، بل يكون رقيقاً نزر الشعر خفيفاً فلا يسدّ فرج الفرس . فلمّا قال : تسدّ به فرجها علمنا أنّه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول، فإذا أشبه الذنب الذيل من هذه الجهة،وكان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح، وليس ذلك بموجب للعيب، ولا أن يكون ذنب الفرس من أجل تشبيهه بالذيل ممّا يحكم به على الشاعر أيضاً أنّه قصد إلى أنّ الفرس يسحبه على الأرض ، وإنّما العيب في قول البحتريّ : (ذنب كما سحب الرداء) فأفصح بأنّ الفرس يسحب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير:

لها ذنب مثل ذيل الهَدِيّ إلى جؤجؤ أيّد الزافر

والهديّ : العروس التي تهدى إلى زوجها . والأيّد : الشديد . والزافر : الصدر لأنّها تزفر منه ، فإنّما أراد بذيل العروس طوله وسبوغه ، فتشبّه الذنب السابغ به وإن لم يبلغ في الطول إلى أن يمسّ الأرض " انتهى كلام الآمديّ.

---

[1] نقلها عنه البغدادي في الخزانة (٤:٢١) ووقعت في كلتي النسختين أغلاط فأثبتنا ما صح من العبارتين.

ولم يكتف امرؤ القيس بأن جعل ذنب فرسه يجرّ على الأرض إن صحّ أنّه أراد ذلك حتّى أبرز لنا وجه هذه الفرس مجلّلاً بشعر الناصية لا تكاد تبصر منه الطريق فقال :

وأركب في الروع خيفانة على وجهها سَعَف منتشر[1]

وكأنّه خشي أن يظنّ بها السَّفَى ، وهو خفّة الناصية ، فوصف شعرها بالطول والكثرة ، وحملته المبالغة على جعله كالسعف على وجهها وقد عاب عليه هذا الوصف شارح ديوانه الوزير البطليوسيّ ، وأبو هلال في الصناعتين ، وابن سنان في سرّ الفصاحة ، والجرجانيّ في الوساطة ، والمرزبانيّ في الموشّح . وروى الآمديّ في الموازنة عن أبي حاتم عن الأصمعيّ ما نصّه : "شبّه شعر الناصية بسعف النخلة ، والشعر إذا غطّى العين لم يكن الفرس كريما، وذلك هو الغمم، والذي يحمد من النواصي[2] الجَثْلة، وهي التي لم تفرط في الكثرة، فتكون الفرس غمّاء، والغمم مكروه، ولم تفرط في الخفّة فتكون سفواء، والسَفَى أيضا مكروه في الخيل" انتهى.

قلنا : ومنه يعلم ما في قول البحتريّ في بيته المتقدّم : (وعرف كالقناع المسبل) وعندنا أنه أشدّ تغلغلاً في الخطإ من وصف امرئ القيس .

وكأنّنا بالطرمّاح أشفق أن يكون ذنب ناقته دون ذنب فرس امرئ القيس ، ولم يفطن إلى أنّ طول الذنب في الإبل غير مستحسن فقال:

---

[1] في نسخة الوساطة (شعر منتشر)

[2] في الأصل : (في الناصية) ومعنى الجثل من الشعر : الكثير الملتف ، أو ما غلظ منه وقصر.

تمسح الأرض بمُعْنَوْنِس مثل مثلاة النياح القيام[1]

فأخطأ خطأين كان في غِنًى عنهما ، لولا أنّ المبالغة استدرجته إلى الأوّل فتمهّد له السبيل إلى الثاني.

أما الأوّل : فجعله الذنب يمسح الأرض ، وإذا كان طوله قبيحاً مذموماً في الإبل فبلوغه إلى هذا الحدّ أقبح وأدعى إلى الذمّ .

والثاني : أنه أراد أن يشبهّه بثوب يجرذ ولم يشأ أن يسلب أمراً القيس ذيل عروسه ، فشبهّه بخرقة النائحة ، وهي لا تجرّها على الأرض ، ولا تبلغ في الطول أن تصلح لذلك ، وإنما هي كالمنديل تمسكها بيدها وتشير بها إذا قامت تنوح .

هذا تفسير ما أجمله المرزبانيّ في الموشّح عن هذا البيت بقوله : "أفصح بأنّ الذنب يمسّ الأرض وأساء في التشبيه أيضاً". وتبعه البحتريّ، ولكنه اقتصد هذه المرّة في الطول فقال :

سيحمل همّي عن قريب وهمّتي قرى كلّ ذَيّال جلال جلنفع

أي سيحمل همّي وهمّتي ظهر كلّ جمع طويل الذنب غليظ شديد . قال أبو العلاء المعرّيّ في عبث الوليد : "وصفه الجمل بذيّال قلّما يستعمل . إنّما يوصف بذلك الفرس والثور الوحشيّ".

---

[1] المعنونس : الذنب الطويل . والمثلاة : خرقة تمسكها النائحة بيدها إذا قامت للنياحة.

وكما أنّ طول الذنب غير ممدوح في الإبل فإنّ كثرة شعره غير ممدوح أيضاً في نجائبها ، وقد جمعهما طرفة لناقته فقال :

كأنّ جناحي مضرحيّ تكنّفا حِفافَيْه شُكذا في العَسيب بمسْرد

أي كأن جناحي نسر عتيق عظيم تكنّفا جانبي هذا الذنب وشكّا في عظمه بمخصف . قال المرزبانيّ في الموشّح : "إنما توصف النجائب برقّة شعر الذنب وخفّته ، وجعله هذا كثيفاً طويلاً عريضاً" ومثله في الصناعتين لأبي هلال وقال التبريزيّ في شرح المعلّقات : "قال الأصمعيّ : يستحب من المهاريّ أن تقصر أذنابها ، وقلّ ما ترى مهريًّا إلاّ ورأيت ذنبه أعصل كأنّه أفعى" إلا أنه قال بعد ذلك : "وقال غيره : كلّ الفحول من الشعراء وصفوا الأذناب بكثرة الهُلْب ، منهم امرؤ القيس وطرفة وعيينة بن مرداس وغيرهم".

قلنا: ولا نخالهم فعلوا ذلك إلاّ للمبالغة فيما كان الأولى فيه القصد. ومن هذا النوع قول ذي الرُّمّة في ناقته :

تُصغي إذا شدّها بالكور جانحة حتّى إذا ما استوى في غرزها تثب

يقول : هي مؤدّبة ليست بنفور تميل رأسها لصاحبها كأنها تستمع إذا شدّها بالرحل ، ثم أراد أن يصفها بالنشاط فجعلها تثب عند وضع رجله في ركابها ، وهي مبالغة جعلت نشاطها هوجاً ورعونة . وفي العقد الفريد والموشّح : أنّ أعرابيًّا سمعه ينشد هذا البيت فقال : صُرع والله الرجل . وقيل : إنه أنشده أبا عمرو بن العلاء فقال له : ماقاله عمّك الراعي أحسن ممّا قلت ، وهو:

ولا تعجل المرء قبل الورو ك وَهْيَ بركبته أبصر

وهي إذا قام في غرزهـــا كمثل السفينة أو أوقر

فقال ذو الرُّمّة : إن الراعي وصف ناقة ملك ، وأنا أصف ناقة سوقة . قـــال المرزبانيّ في الموشّح : "أراد أن يحتال فلم يصنع شيئا" وذهب عليّ بـــن حمـــزة البصريّ في التنبيهات إلى أنه لم يخطئ ، وأن ما روى عنه من الاعتذار حكـــاه الأصمعيّ لكذب فيه ، وأنّ مراد ذي الرُّمّة حتّى إذا ما استوى على ظـــهرها ، وإذا كان كذلك فقد استوى في غرزها ، ثم قال : "وأبو عمرو مع عيبه بيـــت ذي الرُّمة قد أنشد مثله في نوادره ، بل هو أشدّ سرعة من بيت ذي الرُّمّـــة ، وهو :

إذا ما وضعت في غرزها الرجل أجفلت كما أجفلت بيدانة أمّ تولـــــب

ثمّ لم يعب هذا البيت" انتهى.

ولو قال قائل : فالمانع من أن يكون أكثر ما ذكر في هذا القسم والذي قبله لم يرد به قائلوه إلاّ ذكر الواقع ، فما على من كانت ناقته ضخمة المقلّـد ، أو فرسه مسحوب الذنب على الأرض إذا وصفهما بحقيقة ما فيهما .

قلنا : لو كانوا أرادوا ذلك لما وجد العلماء سبيلاً إلى تخطئتهم والنعـــي عليهم ، كما فعلوا مع من نهج منهج الحقيقة من الشعراء ، وإنما أخذوا علـــى هؤلاء ما أخذوه ، لأنّهم ذكروا أشياء حاولوا وصفها بما يحمـــد في نوعـــها ، فتخيّلوا لها أحسن ما تنعت به من النعوت ، ولحقهم الخطأ في بعضها لجهلـــهم

بخصائص ما ينعتون ، ولو أنّ رؤبة أراد وصف ذاك الفرس بحقيقة ما فيه لما قال لمن خطّأه : " أي بنيّ لا علم لي بالخيل ، ولكن أدنني من ذنب البعير " كمـــــا تقدم .

القسم الرابع

ومن الأوهام في المعاني مالا يرجع لسبب من الأسباب المتقدّمة فلا يصحّ عدّه من أحد أقسامها، كأن يصنع الشاعر لفظة في موضع لا تصلح له لا لجهله بالشئ كما تقدّم ، بل لسهو أو خطإٍ في تقديره ، أو أن يسئ في التعبير إساءة تحيل المعنى وتفسده ، إن لم تعكس الغرض المقصود منه ، أو أن يأتي بكلام غير متلائم الأجزاء ، أو فاسد التقسيم ، أو التشبيه أو غير ذلك مّما يشبهه ويجري مجراه . وكثيراً ما تنشأ هذه الأوهام من التساهل ، إمّا لثقة الشاعر بقدرته وبمكانة شعره في النفوس ، أو لكلال يلحق طبعه في بعض الأحيان فيلقى بالكلام على عواهنه في البيت أو البيتين من القصيدة، ثمّ تمنعه تلك الثقة أو الضجر أو ضيق الوقت من إعادة النظر فيما قال .

(فمن ذلك) قول النابغة الذبيانيّ:

ماضي الجنان أخي صبر إذا نزلت حرب يوائل منها كلّ تنبال

يوائل : يطلب الموئل ، وهو الملجأ . والتنبال : القصير، أو الجبان وذكره هنا مفسد لمعنى البيت قال أبو هلال: "ليس القصير بأولى بطلب الموئل من الطويل، وإن جعل التنبال الجبان فهو أبعد من الصواب لأنّ الجبان خائف وجل اشتدّت الحرب أم سكنت " . ومثله في الموشّح للمرزبانيّ باختلاف في العبارة.

وقال النابغة أيضاً يصف ناقته[1]

---

[1] قال بعضهم: إنه في وصف ثور ، ورواه (يحيد).

تحيد عن أَسْتَنٍ سود أسافله مشى الإماء الغوادي تحمل الحُزَما

الأستن (بوزن أحمر) : شجر إذا نظر لناظر إليه من بُعد شبّهه بشخوص الناس ، كذا في اللسان . وقال الأعلم الشنتمريّ في شرح الديوان : "شبّه الأستن في سواد أسافله وطوله بإماء سود يحملن الحزم ، وأوقع التشبيه في اللفظ على المشي لأنّه السبب في ظهور أسافلهنّ وتبيّن سوادهنّ ، وإنّما خصّ اللواتي تحمل الحزم لأنهنّ إذا كانت عليهنّ الحزم مددن أيديهنّ فكان أطول لهنّ ". وفي شرح الوزير أبي بكر البطليوسيّ : "شبّه سواد أسافل هذا الشجر وما فوق ذلك من فروعه اليابسة بإماء سود على رؤوسهنّ حطب لأنّ لون هذا الشجر إذا كان أسفله أسود وأعلاه يابس الأغصان فكأنّه حطب على رؤوس إماء سود". والذي عيب عليه في هذا البيت من فساد المعنى قوله : (الغوادي) لأنّ الإماء تحمل الحطب بالعشيّ وهنّ روائح ، وأمّا إذا غدون إلى الصحراء فإنّهنّ مخفّات. قالوا : والجيّد قول التغلبيّ :

تظلّ بها رُبْد النعام كأنّها إماء تُزَجّى بالعشيّ حواطب

وقد شبّه النعام بالإماء وعَلَى ظهره حمل . وقال أبو هلال في بيت النابغة : "وقد روى : مثل الإماء ، وإذا صحّت الرواية سلم المعنى" .

قلنا : لم يظهر لنا وجه سلامة المعنى على هذه الرواية لأنّ أبا هلال لم يعب عليه قوله : (مشى الإماء) بل عاب عليه كغيره قوله : (الغوادي) وتفسير مشى بمثل لا يجعل تلك الإماء روائح حتّى يسلم المعنى به ، وإنّما الذي ينتصر للنابغة يقول : أراد أنّ الإماء تغدو لتحمل الحطب رواحاً . وقال عليّ بن حمزة

البصريّ في التنبيهات : "كان أبو عبيدة يقول : لم يقله النابغة إلاّ عشاء تحمل الحزما ".

(وقال) النابغة أيضاً يصف ثوراً :

من وحش وجرة موشيّ أكارعه طاوى المَصير كسيف الصيقل الفرد

قال أبو هلال : "أراد بالفرد أنّه مسلول من غمده ، فلم يبن بقوله الفرد عن سلّة بياناً واضحاً . والجيّد قول الطرمّاح وقد أخذه منه :

يبدو وتضمره البلاد كأنّه سيف على شرف يُسلّ ويغمد

وهذا غاية في حسن الوصف " ومثله في طبقات الشعراء لابن قتيبة .

(ومّما خطّأوا) فيه النابغة أيضاً قوله :

ألكني ياعُيَيْن إليك قولاً ستحمله الرُّواة إليك عنّي

ألكني : أي كن رسولي وبلّغ ألُوكتي : أي رسالتي . وفسّره أبو هلال بأرسلني فقال منتقداً البيت : "وليس من الصواب أن يقال : أرسلني إلى نفسك ثمّ قال: ستحمله الرواة إليك عنّي" وقال الآمدي : "قالوا : ألكني : أي كن لي رسولاً، فكيف يكون ألكني إليك عنّي ، فاعتذر له الأصمعيّ وقال : أهذا ممّا حملته الرواة عن النابغة ، كأنّه يدفع أن يكون قاله " .

قلنا : من فسّره بأرسلني راعي اللفظ فقط ، ومن فسّره يكن رسولي راعي المعنى ، ففي اللسان أنّ مقتضى لفظ : (ألكني إليها برسالة) أن يكون سلني إليها برسالة إلاّ أنّه جاء على القلب ، إذ المعنى : كن رسولي إليها بهذه

الرسالة ، فاللفظ يقضي بأنّ المخاطَب مرسِل ، والمتكلّم مرسَل ، وهو في المعنى بعكس ذلك . انتهى ملخّصاً .

والذي أنكره هؤلاء الأئمّة أجازه صاحب اللسان فقال : "وقد يكون المرسَل هو المرسَل إليه ، وذلك كقولك : ألكني إليك السلام ، أي كن رسولي إلى نفسك بالسلام، وعليه قول الشاعر " ثم استشهد بالبيت[1] هذا فيما يتعلّق بالصدر ، وأمّا إنكارهم قوله بعد ذلك : ستحمله الرواة إليك عنّي" وفسّره الأعلم بقوله: أي كفّ عنّي في أمر إخواني بني أسد ، وكان عيينة بن حصن سام قوم النابغة أن ينقضوا حلف بني أسد فتوعدّه النابغة بالهجاء والحرب .

(ومّما عابوه) على النابغة قوله:

فإنّك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فقال المعترضون : تشبيهه الإدراك بالليل يساويه إدراك النهار فلم خصّه دونه، وإنّما كان سبيله أن يأتي بما ليس له قسيم . هذا خلاصة ما قيل في البيت ، والكلام فيه كثير حتّى عدّه بعضهم في نقد الشعر من باب العبث ، وهو أن يقصد الشاعر شيئاً من الأشياء ليس لذكره فائدة . وقال المعتذرون للنابغة . إنّما خصّ الليل بالذكر لأنّه وصفه في حال سخطه فشبّهه بالليل وهَوْله ، وهي

---

(١) روايته له :

ألكني يا عتيق إليك قولا ستهديه الرواة إليك عني

والظاهر أن لفظ : (عتيق) من تحريف النساخ ، والصواب : (عيين) لنص الأعلم في شرحه لديوان النابغة على أنه يخاطب عيينة بن حصن .

كلمة جامعة لمعانٍ كثيرة . وقيل : ذكر الليل لأنه أهول ، ولأنّـــه أوّل ، ولأنّ أكثر أعمالهم كانت فيه لشدّة حرّ بلدهم ، فصار ذلك عندهم متعارفاً .

(ومّما خطّأوه) فيه قوله :

كأنّ حِجاج مقلتها قليب من الشّيقين حلّق مستقاها

الحجاج : العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب والقليب : البئر . والشـيقان : موضع . وحلّق مستقاها: غار ماؤها . والحجاج لا يوصف بأنه غائر كالقليب، وهذا مّما لا يخفى على أحد .

ومن ذلك قول بعضهم :

ونطعنهم حيث الكُلَى بعد ضربهم ببيض المواضي حيث ليّ العمائم

أراد هذا الشاعر أن يذكر شجاعتهم ، ويصف بأسهم في قتال أعدائهم ، فأتى بما يدلّ على عكس ما أراد ، لأنهم إذا ضربوهم بالسيوف مكان ليّ العمائم : أي في رؤوسهم ولم يموتوا ، واحتاجوا بعد ذلك إلى طعنهم بالرماح في كلاهم ، فقد فعلوا فعل الجبان الخائف غير المتمكّن من قتل قرنه ، وهذا مّما لا يفتخر به، وإنّما الجيّد قول بلعاء بن قيس :

غشيته وهو في جأواء باسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا

بضربة لم تكن منّى مخالسـة ولا تعجّلتها جبناً ولا فَرَقـــا

(ومن فاسد) التشبيه قول بشر بن أبي خازم :

وجرّ الرامسات بها ذيولاً كأنّ شَمالها بعد الدّبور

رماد بين آظآر ثـــلاث كما وُشم النواشر بالنؤور

والشمال والدبور لا تشبهّان بالرماد ، وإن كان أراد ما تخلّف من فعل الشمال والدبور ، فقد أساء التعبير ، وقصَّر في بيان مراده .

(ومن قبيله) قوله أيضاً يصف سفينة :

أجالد صفّهم ولقد أرانـــي على زوراء تسجد للرياح

إذا ركبت بصاحبها خليجاً تذكّر ما لديه من جُنـــاح

ونحن على جوانبها قعـــود نغضّ الطرف كالإبل القماح

وهو مّما عابه عليه ابن قتيبة في طبقات الشعراء ، لأنّ معنى غضّ طرفه كسره وأطرق ولم يفتح عينيه والإبل القماح : هي الرافعات رءوسها عن المـــاء ممتنعة من الشرب ، فكيف يشبّه المطرق بالرافع رأسه . ولكن من يراجع مادّة (قمح) في اللسان لا يعدم للكلام مخرجاً .

(ومن التشبيهات) التي لم تقع موقعها قول ابن هَرْمة:

وإني وتركي ندى الأكرمينَ وقدحي بكفّي زناداً شحاحا

كتاركة بيضها بالعــــــراءِ وملبسة بيض أخرى جناحـــا

وقول الفرزدق[1]:

---

[1] كذا في الموشح وسر الفصاحة ، وهو الصواب الموافق لما في النقائض . وجاء في الأغاني أن البيتين لجريـــر (٨:٤٦) من طبعة بولاق.

وإنّك إن تهجو تميما وترتشى سرابيل قيس أو سحوق العمائم[1]

كمهريق ماء بالفلاة وغـرّه سحاب أذاعته رياح السمائـم

فإن بيت ابن هرمة الثاني يليق ببيت الفرزدق الأوّل ، وبيت الفرزدق الثاني يليق ببيت ابن هرمة الأول ، فلو كانا كذلك لكان كلّ واحد منهما قد شبّه تشبيهاً واضحاً صحيحاً ؛ فأمّا والشعر وما هو عليه فإنّ التشبيه فيه بعيد . كذا في سرّ الفصاحة لابن سنان وعزا صاحب الأغاني هذا النقد لأبي نُوَاس ، فذكر أنّه قال : "شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه ، فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر ، وأخذ بيت ذاك فجعل مع هذا لصار متّفقاً معنىً وتشبيهاً" وقال بعد إيراد المقطوعين : "ولكن ابن هرمة قد تلاقى في ذلك بعد فقال:

وإنك إذ أطعمتني منك بالرضا وأيأستني من بعد ذلك بالغضبْ

كممكنة من ضرعها كفّ حالب ودافقة من بعد ذلك ما حلبْ"

انتهى . يريد : أنّه أتى هنا بتشبيه صحيح لا أنّه أصلح به تشبيهه الأوّل فإنّ هذا غير ذاك .

(ومما وهم) فيه خُفاف بن نُدْبة قوله :

أبقى لها التعداءُ من عَتَداتها ومتونا كخيوطة الكَتّان

---

[1] رواية الأغاني : (بنأبين قيس).

قال المرزبانيّ : "العتدات[1] : القوائم ، أراد : أنّ قوائمها دقت ... ى عادت كأنّها خيوط ، وأراد ضلوعها فقال متونها ".

(ومثله) قول ابن أحمر:

غادرني سهمه أعشى وغادره سيف ابن أحمر يشكو الرأس والكبدا

قالوا : أراد غادرني سهمه أعور فلم يمكنه فقال أعشى . وكان ابن أحمر أعـور رماه رجل يقال له مخشيّ بسهم فذهبت عينه .

(ومن الأوهام) قول القائل[2] :

يمشي بها كل مشيّ أكارعه مشي الهرابذ حجّوا بيعة الزُّون

الهرابذة : المجوس ، وهم قَوَمة بيت النار . والزُّون : الصنم . قال أبو هلال : "الغلط في هذا البيت في ثلاثة مواضع ، أحدها : انّ الهرابذ المجـوس لا النصارى . والثاني : أنّ البيعة للنصارى لا للمجوس . والثالث : أنّ النصارى لا يعبدون الأصنام ولا المجوس".

(ومما عابه) أبو هلال على ذي الرُّمة قوله:

نغار إذا ما الروع أبدى عن البرى ونقرى عبيط اللحم والماء جامس

---

[1] كذا رسمت الكلمة في نسخة الموشح التي عندنا ، ولم نعثر عليها بهذا المعنى فلتحقق.

[2] هو جرير كما في اللسان ، وروايته له :

يمشي بها البقر الموشي أكرعه مشي الهرابذ تبغي بيعة الزون

فقال: "لايقال: ماء جامس، وإنّما يقال: وَدَك جامس". قلنا: هو تابع في ذلك للأصمعيّ . والجامس : الجامد ، يريد : أنّنا نقرى في الشتاء . وبعض اللغويّين يجيز الجموس في الماء .

(وعاب) عليه قوله أيضاً :

إذا انجابت الظلماء أضحت رؤُوسها عليهنّ من جهد الكري وهي ظُلّع

فعدّه من عجائب الغلط ، ونقل عن ابن فروة أنّه قال : قلت لذى الرُّمّة : ما علمت أحداً من الناس أظلع الرؤُوس غيرك ! فقال أجل . انتهى.

قلنا : لأنّ المعروف في الظَّلَع أنّه العرج والغمز في المشي ، وهذا لا يكون في الرؤُوس .

(وعاب) على أبي ذؤيب الهذليّ قوله:

فما برحت في الناس حتّى تبيّنت ثَقِيفاً بزيزاء الأشاء قبابُها

الزيزاء : (بكسر الأوّل): الأكَم ، واحدتها زيزاءة والأشاء : النخل. قال أبو هلال : "يقول : مازالت هذه الخمرة في الناس يحفظونها حتّى أتوا بها ثقيفاً . قال الأصمعيّ . وكيف تحمل الخمرة إلى ثقيف وعندهم العنب !" ومثله في طبقات الشعراء لابن قتيبة .

قلنا : الذي في شرح السكّريّ لديوان أبي ذؤيب أنّ المعنى : "حملت إلى عُكَاظ لتباع ، وهي دار ثقيف " وعليه فلا خطأ إلاّ أن يكون مراد الشاعر حملت إلى ثقيف نفسها كما فهم الأصمعيّ ، وتبعه فيه أبو هلال وابن قتيبة .

(ومّما خطّأوا) فيه الشمّاخ قوله :

وأعددت للساقين والرجل والنسا لجاماً وسرجاً فوق اعوج مختال

قال المرزبانيّ : " وإنّما يلجم الشدقان لا الساقان".

قلنا : لم يقل الشمّاخ ألجمت الساقين ولا يقوله أحد، وإنّما قال : أعددت لهما لجاماً وسرجاً ، أي ألجمت فرسي وأسرجته ليعدو ويحرّك ساقيه إلاّ أنّه لم يحسن التعبير .

(ومّما استُضعف) من معاني الأعشى قوله :

فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبّة قلبها وطحالها

المراد بالشاة هنا : المرأة . قال المرزبانيّ : "وقد عابه قوم بذلك لأنّهم رأوا ذكر القلب والفؤاد والكبد يتردّد كثيراً في الشعر عند ذكر الهوى والمحبّة والشوق ، وما يجده المغرم في هذه الأعضاء من الحرارة والكرب ، ولم يجدوا الطحال استعمل في هذه الحال إذ لا صنع له فيها ، ولا هو مّما يكتسب حرارة وحركة في حزن ولا عشق ، ولا برداً وسكوناً في فرح أو ظفر فاستهجنوا ذكره ".

(ومن التناقض) قول المسيّب بن عَلَس:

فتَسَلّ حاجتها إذا هي أعرضت بخميصة سُرُح اليدين وَساع

وكأنّ قنطرة بموضع كُورهـا ملساء بين غوامض الأتساع

وإذا أطفت بها أطفت بكنكل نَبِض الفرائص مُجْفَر الضلاع

فوصف الناقة بأنّها خميصة : أي ضامرة ، ثمّ شبّهها بعد ذلك بالقنطرة ، والقنطرة لا تكون إلاّ عظيمة ، وأكّد ذلك بقوله : مجفر الأضلاع والمجفر : العظيم الجنين من كلّ شئ ، فكيف تكون خميصة وهذه صفتها .

(ومن التناقض) قول الحطيئة في ثور وحشيّ:

حرج يلاوذ بالكناس كأنّه   متطوّف حتّى الصباح يدور

حتّى إذا ما الصبح شقّ عموده   وعلاه أسطع لا يرد منير

أوفى على عقد الكثيب كأنّه   وسط القداح معقّب مشهور

وحصى الكثيب بصفحتيه كأنه   خبث الحديد أطارهنّ الكير

قالوا : زعم أنّه بات يطوف حتّى أصبح وأشرف على الكثيب ، فمن أين صار الحصى بصفحتيه ، وإنّما يلتصق بهما إذا كان راقداً .

(ومنه) قول عُرْوَة بن أُذَيْنة :

نزلوا ثلاثَ منىً بمنزل غبطة   وهم على غرض لعمرك ما هم

متجاورين بغير دار إقامة   لو قد أجدّ رحيلهم لم يندموا

قال أبو هلال : "فقال لبثوا في دار غبطة ، ثمّ قال : لو رحلوا لم يندموا" .

ومثله قول جرير:

فلم أر داراً مثلها دار غبطة   وملقىً إذا التفّ الحجيج بمجمع

أقلّ مقيماً راضياً بمقامه   وأكثر جاراً ظاعناً لم يودّع

وهل يغتبط عاقل بمكان من لا يرضى به " انتهى .

(ومنه) قول ابن نوفل :

لأعلاج ثمانية وشـــيخ . كبير السنّ ذي بصر ضرير

لأنّ الضرير إنّما يستعمل في الأكثر للذي لا بصر له ، فقوله في هذا الشيخ أنّه ذو بصر ، وأنّه ضرير تناقض ، فكأنّه يقول : إن له بصراً ولا بصرَ له ، فـــهو بصير أعمى ، كذا في الموشّح للمرزبانيّ ونقد الشعر لقدامة .

قلنا : يطلق الضرير أيضاً على المريض المهزول ، وعلى ذي الزمانـة إلاّ أنّ الأكثر استعماله لفاقد البصر كما قالا ، ولا نظنّ الشاعر أراد غير الضعـف وسوء الحال ، ولكنّه لمّا استعمله في غير ما يستعمل فيه في الأكثر أتى بما يوهـم الخطأ والاحتراس من مثله أولى .

(ومنه) قول يزيد بن مالك :

أكفّ الجهل عن حلماء قومي وأعرض عن كلام الجاهلينا

إذا رجل تعرّض مستخفـــاً لنا بالجهل أوشك أن يحينـا

قال قُدَامة : "قد أوجب هذا الشاعر في البيت الأوّل لنفسه الحلـــم والإعراض عن الجهّال ، ونفى ذلك بعينه في البيت الثانية بتعدّيه في معاقبـــة الجاهل إلى أقصى العقوبات وهو القتل ".

(ومّما عدّوه من التناقض) قول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيّرها الأرواح والديم[1]

فقالوا : نقض في عجز هذا البيت ما قال في صدره ، لأنّه زعم أنّ الديار لم يعفها القدم، ثمّ انتبه من مرقده فقال : بلى عفاها وغيّرها أيضاً الأرواح والديم. وقال أبو عبيدة: أكذب نفسه فقال : لم يعفها ، ثمّ رجع فقال : بلى. ومن يحتجّ له يقول : مراده أنّ بعضها عفا وبعضها لم يعفُ . وقيل: بل المراد أنّ الديار لم تعف في عينه من طريق محبّته لها ، وشغفه بمن كان فيها .

ومثله قول امرئ القيس:

فتُوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

ثمّ قوله في بيت آخر:

وإنّ شفائي عبرة مَهراقة فهل عند رسم دارس من معوّل

ومن يذهب إلى عدم التناقض يقول : أراد لم يعف رسم حبّها من قلبي . والأظهر قول بعضهم : أراد لم يقتصر سبب محوها على نسج الريحين ، بل كان له أسباب منها هذا السبب ، ومرّ السنين ، وترادف الأمطار وغيرها.

وعدّ بعضهم من التناقض قوله في موضع :

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال

ولكنّما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

---

[1] رواه المرزباني في الموشح : (حي الديار).

وقوله في كلمة أخرى :

فتملأ بيتنا أَقِطًا وسمناً وحسبك من غنًى شبع وريّ

لأنّه وصف نفسه في موضع بسموّ الهمّة وقلة الرضا بدنئ المعيشة ، وأطرى في موضع آخر القناعة ، وأخبر عن أكتفاء الإنسان بشبعه وريّه . وقد ردّ قُدامة على هذا العائب فقال : "أقول : إنّه لو تصفّح أوّلاً قول امرئ القيس حقّ تصفّحه لم يجد معنىً ناقض معنىً ، فالمعنيان في الشعرين متّفقان إلاّ أنّه زاد في أحدهما زيادة لا تنقض ما في الآخر، وليس أحد ممنوعاً من الأتّساع في المعاني التي لا تتناقض ، وذلك أنّه قال في أحد المعنيين :

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال

وهذا موافق لقوله : (وحسبك من غنىً شبع وريّ) ولكنّ في المعنى الأوّل زيادة ليست بناقضة لشئ ، وهو قوله : لكنّى لست أسعى لما يكفيني ولكن لمجد أؤثّله ، فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الإنسان باليسير متوافقان في الشعرين ، والزيادة في الشعر الأوّل التي دلّ بها على بعد همّته ليست تنقض واحداً منهما ولا تنسخه ، وأرى أنّ هذا العائب ظنّ امرأ القيس قال في أحد الشعرين : إنّ القليل يكفيه ، وفي الآخر لا يكفيه ، وقد ظهر بما قلنا أنّ هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ولا ذهب إليه ، ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه لم يكن عندي مخطئاً من أجل أنّه لم يكن في شرط شرطه يحتاج إلى ألاّ ينقض بعضه بعضاً ، ولا في معنىً سلكه في كلمة واحدة أيضاً ".

(ومن التناقض) على طريق المضاف قول عبد الرحمن بن عبد الله القيسيّ:

فإنّي إذا ما الموت حلّ بنفسها يزال بنفسي قبل ذلك فأقبر

قال قدامة : "جمع بين قبل وبعد ، وهما من المضاف ، لأنه لا قبـــل إلاّ لبعد، ولا بعد إلاّ لقبل ، حيث قال : إنه إذا وقع الموت بها ، وهذا القول كأنه شرط وضعه ليكون له جواب يأتي به ، وجوابه قوله : يزال بنفسه قبل ذلـك ، وهذا شبيه بقول قائل: لو قال : إذا انكسرت الجرّة انكسر الكوز قبلها. وقال أبو هلال : "هذا شبيه بقول قائل : إذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله".

(وممّا أخذوه) على الأعشى قوله:

شتّان ما يومي على كورها ويوم حيّان أخي جابر

وكان حيّان أشهر وأعلى ذكراً من أخيه جابر ، فلم يكن محتاجـــاً لأن يعرّف به .

(ومن غريب الوهم) قول عديّ بن زيد :

والمُشْرِف الهنديّ[1] يُسقى به أخضر مطموثاً بما الخَرِيص

المشرف: إناء كانوا يشربون فيه. والمطموث : الممسوس. والخريص: السحاب. ووجه الخطإ وصفه الخمر بالخضرة ، وما وصفها بذلك أحد غيره ، ولا كانت العرب تعرف هذا اللون للخمر .

(ومن قبيله) قول المَرّار :

---

[1] في رواية: (المصقول) وفي أخرى : (المشمول) أي الطيب . وفي رواية : (مدامة صرفاً) بدل (أخضر مطموثاً) ولا خطأ على هذه الرواية ، والأولى مروية في العقد والصناعتين وسر الفصاحة والموازنة .

وخال على خدّيكِ يبدو كأنّه سنا البدر في دعجاء باد دجونها

فوصف الخال بالبياض ، والوجه بالسواد ، وهو خلاف المتعارف ، اللهم إلاّ أن يكون حكى الواقع ، ولو كان كذلك ما عابه عليه أئمّة الأدب ونَقَدة الشعر كالمرزبانيّ وأبي هلال وقدامة وغيرهم .

(ومما خطّأوا) فيه جريراً قوله :

لّما تذكّرت بالديرين أرّقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس[1]

فقالوا : غلط مرّتين فإنّ الدجاج لا تصيح ، وإنما تصيح الديوك ، والأرق في أوّل الليل ، والديوك تصيح عند الصباح.

قلنا : الدجاج تطلق على الديوك أيضاً ، وإنما الوهم في الثاني ، وقد تكلّف له بعضهم وجهاً فقال: إنما أراد أرّقني انتظار صوت الدجاج والنواقيس.

(ومن عيوب) المعاني أن ينسب الشئ إلى ما ليس منه ، كما قال خالد بن صفوان :

فإن صورة راقتك فاخبر فربّما أمرّ مذاقُ العود والعود أخضر

قال قدامة والمرزبانيّ : "كأنّه يومئ إلى أنّ سبيل العود الأخضر في الأكثر أن يكون عَذْبا أو غير مرّ، وهذا ليس بواجب، لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر".

---

[1] كذا روى في اللسان والموازنة والصناعتين وشرح ديوان جرير ، ورواه ابن منقذ في كتاب البديع والخاصي في دور الدقائق : (وما نزلت بها إلا وأرقني) ونسباه للفرزدق ، والصواب أنه لجرير.

(ومن عيوب) المعاني قول الحكم الخُضْريّ:

كانت بنو غالب لأمّتها كالغيث في كلّ ساعة يكف

وليس في المعهود أن يكون الغيث واكفاً في كلذ ساعة .

(ومنها) قول الحطيئة :

ومن يطلب مساعي آل لأي تصعده الأمور إلى علاها

قال أبو هلال : "كان ينبغي أن يقول : من طلب مساعيهم عجز عنها وقصّر دونها ، فأمّا إذا تناهى إلى علاها فأي فخر لهم ، فإن قيل : إنّه أراد به يلقى صعوبة ، كما يلقي الصاعد من أسفل إلى علو ، فالعيب أيضا لازم له ، لأنّه لم يعبّر عنه تعبيراً مبينا" ونحوه في الموشّح للمرزبانيّ .

قلنا : البيت على القول الأوّل أشبه بالهجاء عنه بالمدح ، لأنّه أراد أن يعظّم شأنهم فصغّره وحقّره ، وقد وقع الأخطل فيما يشبهه ، فإنّه أراد مدح سماك الأسديّ وكان قومه يلّقبون بالقيون ويعيّرون بذلك فقال :

قد كنت أحسبه قيناً وأُنْبَؤُهُ فاليوم طيّر عن أثوابه الشَّرَرُ

أي فاليوم نفى ذلك عن نفسه وذهب عنه هذا اللقب، فنبّه في مدحه له على شئ يعيّر به ، وكان له في ضروب المادح متّسع . ويروى: أنّه لّما أنشده سماكاً قال له : أردت أن تمدحني فهجوتني كان الناس يقولون قولاً فحقّقته.

وأراد الأخطل أن يهجو سويد بن منجوف، فأتى بما يدلّ على مدحه في قوله :

وما جذع سوء خرّب السوس أصله لما حمّلته وائل بمطـــيق

فجعله لا يطيق ما حمّلته وائل من أمورها ، فأثبت له نباهة وسؤدداً ، وجعله ممن تعصب به الحاجات. وفي الأغاني: أنه لّما هجا سويداً بهذا الشعر قال له : يا أبا مالك ، ما تحسن تهجو ولا تمدح ، لقد أردت مدح الأسديّ فهجوته ، يعـــني قوله : (قد كنت أحسبه قيناً وأُنبَؤُه) وأردت هجائي فمدحتني ، جعلت وائـــلا حمّلتني أمورها ، وما طمعتُ في بني تغلب فضلا عن بكر .

قلنا : وقد سبقه زهير إلى المدح بما يشبه الهجاء في بيت لم نر من تنبّه لما فيه غير ابن شرف القيروانيّ فقال عنه ما نصّه : "وقال زهير – وهو من أطيـــب شعره وأملحه عند العامّة ، وكثير من الخاصّة[1] ، فها هنا تحَفَّظْ وتـــأمّل ، ولا يُهلِكَ ذلك منهم الحقّ أبلج ــ قال :

تراه إذا ما جئته متهلّلاً كأنّك تعطيه الذي أنت سائلهْ

مدح به شريفاً ، أيّ شريف ، فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شـيئاً من عرض الدنيا إليه ، وليس من صفات النفوس العازفة الســامية ، والهمـــم الشريفة العالية ، إظهار السرور إلى أن تهلّل وجوههم ، وتسرّ نفوسهم بهبـــة الواهب ، ولا شدّة لابتهاج بعطيّة المعطي ، بل ذلك عندهم ســقوط همّـــة ، وصغر نفس " إلى أن قال : "هذا نقض البناء ، ومحض الهجـــاء ، والفضـــلاء يفخرون بضدّ هذا ".

---

[1] في طبقات الشعراء لابن قتيبة : أن عبد الملك بن مروان سأل قوما من الشعراء عن أي بيت أمدح فـــاتفقوا على بيت زهير هذا .

(وعابوا) على الفرزدق قوله :

ومن يأمن الحجّاج والطير تتّقى عقوبته إلاّ ضعيف العزائم

وزعموا أنّ الحجّاج قال له : ما علمت شيئاً ، إنّ الطير تتّقى الصبيّ والثوب وتنفر من الخشبة . ولا نخال الفرزدق أراد ذلك ، وإنّما مراده أنّ القريب والبعيد يتّقيه حتّى الطائر في الجوّ ، ولكنّه قصّر في البيان .

(ومن عيوب المعاني) فساد التقسيم ، وهو إمّا أن يكون بالتكرير كقول هذيل الأشجعيّ :

فما برحت تومي إليه بطرفها وتومض أحياناً إذا خصمها غفل

فإن تومي وتومض متساويان ، فكأنّه قال : ما برحت تومي إليه أحياناً وتومي أحياناً . وإما أن يكون بدخول أحد القسمين في الآخر ، كقول القائل :

أبادر إهلاك مستهلك لمالي أو عبث العابث

فإن عبث العابث داخل في إهلاك المستهلك .

ومثله قول أميّة بن أبي الصلت :

لله نعمتنا تبارك ربّنا ربّ الأنام وربّ من يتأبّد

فمن يتأبّد : أي يتوحّش داخل في الأنام ، ولا يجوز أن يكون أراد به الوحش لأنّ من لا تقع على غير العاقل .

ومنه أن يكون القسمان مّما يجوز دخول أحدهما في الآخر كقـــول أبي عديّ القرشيّ :

غير ما أن أكون نلت نوالاً من نداها عفواً ولا مهنياً

فإن العفو قد يكون مهنيًّا ، والمهنيّ قد يكون عفواً ، وهو مثل مـــا حكـــي أنّ أعرابيًّا سأك مرّة فقال : علقمة بن عَبَده جاهليّ أو من بني تميم.

ومثله قول عبد الله بن سليم الغامديّ:

فهبطت غيثاً ما يفزّع وحشه من بين سرب ناوئ وكـوس[1]

فإن الناوئ : أي السمين يجوز أن يكون كانساً أو راتعاً ، والكانس يجـــوز أن يكون سميناً أو هزيلاً، وإمّا أن يكون بترك مالا يحتمل الواجب تركه ، كقـــول جرير في بني حنيفة :

صارت حنيفة أثلاثاً فثُلثهم من العبيد وثلث من موالـيها

قيل : إنّ هذا الشعر أُنشد في مجلس ورجل من بني حنيفة حاضر فيـــه فقيل له : من أيّهم أنت ؟ فقال : من الثلث المُلغي ذكره[2] انتهى.

ملخّصاً من نقد الشعر والموشّح.

---

[1] المراد بالغيث هنا : الكلأ.

[2] لعلّ وجه يدفع هذا الاعتراض ذكره البغدادي في خزانته فقال : "أراد جرير بالثلث المتروك أشرافهم ، وترك الثالث عمداً لأنه في مقام الذم لا يثبت لهم أشرافاً صراحة".

(ومن عيوب المعاني) الإخلال ، قال قدامة والمرزبانيّ : "هو أن يترك من اللفظ ما يتمّ به المعنى ، مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أعاذل عاجل ما أشتهى　　　　أحبّ من الأكثر الرائث[1]

فإنّما أراد أن يقول : عاجل ما أشتهى مع القلّة أحبّ إلىّ من الأكثر المبطئ ، فترك مع القلّة وبه يتمّ المعنى .

ومثل ذلك قول عُرْوَة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم　　　　ومقتلهم عند الوغا كان أعذرا

فإنما أراد أن يقول : عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم ، ومقتلهم عند الوغا أعذر فترك في السلم .

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حِلّزة :

والعيش خير في ظلا　　　　ل النوك ممّن عاش كدّا

فأراد أن يقول : والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكدّ في ظلال العقل ، فترك شيئاً كثيراً ، وعلى أنّه لو قال ذلك لكان في الشعر خلل آخر ، لأنّ الذي يظهر أنّه أراده هو أن يقول : إنّ العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاقّ في ظلال العقل ، فأخلّ بشيء كثير .

---

(١) رواية قدامة في نقد الشعر :

أعادل عاجل مالي أحب إلى من الأكثر الرائث

ومن هذا الجنس نوع آخر ، وهو كما قال بعضهم :

لا يَرْمَضُون إذا حرّت مشافرهم ولا ترى منهم في الطعن ميّالا

ويفشلون إذا نادى ربيئهـــــم ألا اركبنّ فقد آنست أبطالا

الربيئ : الطليعة ، فاراد ان يقول : ولا يفشلون ، فحذف (لا) فعاد المعـنى إلى الضدّ" انتهى .

(ومن اضطراب) المعنى قول أبي دؤاد الإياديّ:

لو أنها بذلت لذي سَقَـــم حَرَض الفؤاد مشارف القبض[1]

حسن الحديث لظلّ مكتئباً حرّان من وجد بها مَـــضّ

قال أبو هلال : "وكان استواء المعنى أن يقول : لبرأ من سقمه "

(ومن الإحالة) قول ابن مقبل :

أمّا الأداةُ ففينا ضُمَّرٌ صُنُـــعٌ جُرْدٌ عواجِرُ بالأَلْباد واللُّجُـــم

ونسج داود من بيض مضاعفة من عهد عاد وبعد الحيّ من إرم

قال ابن رشيق : "فكيف يكون نسج داود من عهد عاد اللـــهمّ إلاّ أن يريد فينا ضمّر صنع من عهد عاد ، فذلك له على سبيل المبالغـــة ، مـــع أنّ الإحالة لم تفارقه ، وكم بين قيس عيلان وبين عاد فضلاً عن بني العجلان[2] "

---

[1] الحرض (بفتحتين) : الذي أذابه الحزن والعشق ، وهو مصدر وصف به .

(٢) بنو العجلان : رهط ابن مقبل ، وفيهم يقول النجاشي :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعاد بني العجلان رهط ابن مقبل

انتهى . والصُّنُع من قولهم : صَنَع فرسَه : إذا أحسن القيام عليه ، فهو فـــرس صَنيع . والعواجر : التي تقمص . وجاء في اللسان عن البيت الأوّل : "رويـت بالحاء والجيم في اللجم ، ومعناه : عليها ألبادها ولحمها ، يصفها بالســـمن ، وهي رافعة أذنابها من نشاطها ".

قلنا : والذي انتقده فيه ابن رشيق يصحّ على القول الأوّل أن يجـــاب عنه بأنه أراد ما يشبه نسج داود في الجودة ، فيستقيم به المعنى ، وأمّا انكره في القول الثاني بقاء هذه الخيل من عهد عاد إلى زمن الشاعر، فلا ريب في أنّ ابن مقبل لم يرد بقاءها بأعيانها، وإنما أراد بقاء ما تناسل منها زمناً بعد زمن، فليس فيه غير المبالغة .

(ومن الخطأ) قول بعضهم:

* كأنّه سِبْط من الأسباط *

قال في اللسان نقلاً عن ابن سيده : إنّه ظنّ السبط الرجل فغلـــط وفي المزهر : "ظنّ أنّ السبط الرجل ، وإنّما السبط واحد الأسباط من بني يعقوب".

(ومثله) قول الآخر :

* تفضّ أمذ الهام والتراتكا *

قالوا : التراتك : بيض النعام . فظنّ الشاعر أنّ البيض كلّه ترائـــك . قلنا : لم يخطئ الشاعر . فإنّ بيضة الحديد التي للرأس يقال لها أيضاً : تَرِيكـــة على التشبيه ببيضة النعامة .

(ومن وضع) كلمة موضع أخرى قول امرئ القيس:

إذا ما الثريّا في السماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

قالوا : غلط فذكر الثريّا ، وهو يريد الجوزاء ، لأنّ الثريّا لا تتعرّض ، وهو قول الجمحيّ . وقال بعضهم : تعرّض الثريّا أنّها إذا بلغت كبد السماء أخذت في العرض ذاهبة ساعة ، كما أنّ الوشاح يقع مائلاً إلى أحد شقّي المتوشّحة به .

(ومما ادركه) بعضهم على لبيد قوله :

نحن بني أمّ البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صَعْصَعَهْ[1]

أراد بأمّ البنين: جدّته ليلى، وكانت ولدت أباه ربيعة بن مالك، وأعمامه: عامراً ملاعب الأسنّة، وطفيلاً فارس قرزل[2]، ومعاوية معوّد الحكماء ، وعبيدة الوضاح فكانوا خمسة لا أربعة كما قال ، ولهذا حمل بعضهم قوله أربعة على الضرورة الشعريّة.

والأكثرون على أنه لم يخطئ لأنه قال ذلك بعد موت أبيه . قال السهيليّ : "وإنّما قال أربعة لأنّ أباه كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يعزي إلى الفرّاء أنه قال : إنّما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي ، فيقال له : لايجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ".

---

[1] قوله : (بني) منصوب على الاختصاص . وبعضهم ينشده رفعاً.

[2] قرزل (بضم فسكون فضم) : اسم فرسه .

القسم الخامس

ومن هذه الأوهام (القلب) عند من لا يرى جوازه ، وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر ، والآخر مكانه مع إثبات حكم كلّ للآخر ، نحو : قطع الثوبُ المسمارَ ، وأدخلت القلنسوة في رأسي . والأصل قطع المسمارُ الثوبَ . وأدخلت رأسي في القلنسوة . لأنّ المسمار هو القاطع للثوب ، والرأس هو المدخل في القلنسوة .

وقد اختلف فيه النحاة والبيانيّون ، فأجازه بعض النحاة لوضوح المعنى، وخصّه بعضهم بالضرورة ، وقَبِله بعض البيانيِّين مطلقاً ، وردّه بعضهم مطلقاً على ما هو مفصَّل في كتبهم . وذهب بعض البيانيّين إلى قبوله أن تضمّن اعتباراً لطيفاً ، كقول رؤبة بن العجّاج :

ومهمه مغبّرة أرجاؤه كأنّ لون أرضه سماؤه[1]

فالأصل : كأنّ لونَ سمائه لما فيها من الغبار لونُ أرضه . قالوا : والاعتبار اللطيف هو المبالغة في وصف لون السماء بالغبرة حتّى كأنّه صار بحيث يشبّه به لون الأرض في ذلك مع أنّ الأرض أصل فيه . واعترض بعضهم بأن هذا لا ينبغي إجراء الخلاف فيه لأنّه على هذا الاعتبار يكون من التشبيه المقلوب وقلب التشبيه متّفق عليه ، فكان الأولى التمثيل بقول الشاعر :

---

[1] قال البغدادي في حاشيته على شرح بانت سعاد : البيت كذا في التلخيص . والذي في ديوان رؤبة وغيره : (وبلد عامية أعماؤه).

ورأين شيخاً قد تحنّى صلبه يمشي فيقعس أو يُكبّ فيعثر

لأن الأصل : أو يعثر فيكبّ ، أي يسقط على وجهه . والاعتبار اللطيف أنّ في القلب يتخيلَ أنه من غاية ضعفه يسقط على وجهه قبل عثاره . ومثّلوا للقلب المردود لعدم تضمّنه هذا الاعتبار اللطيف بقول القطاميّ يصف ناقته :

فلمّا أن جرى سِمَن عليها كما طيَّنت بالفَدَن السياعا

والفَدَن : القصر . والسياع (بفتح الأوّل وكسره): الطين بالتبن الذي يطيّن به ظاهر الجدار . أراد كما طيّنت بالسياع الفدن فَقَلَب . والمعنى : إنّ هذه الناقة امتلأت سمناً فصارت كالقصر المسيّع في الملاسة . واعتُرض بأنّا لا نسلّم خلوّه من النكتة ، لأنّه يتضمّن من المبالغة في سمن الناقة ما لا يتضمّنه قولنا : كما طيّنت الفدن بالسياع ، لإيهامه أنّ السياع بلغ من العظم والكثرة إلى أن صار بمنزلة الأصل ، والفدن بالنسبة إليه كالسياع بالنسبة إلى الفدن ، كذا في الهنديّة للدماميني على المغني . وفي عروس الأفراح للبهاء السبكيّ ما نصّه : "ويروي : بطّنت ، كذا رأيته في الصحاح للجوهريّ وحلية المحاضرة للحاتميّ ، والتوسعة لابن السكّيت وجعله قلباً وفيه نظر ، لأنّه يجوز أن يريد أنّه جعل القصر بطانة للطين لأنّه داخله فلا قلب ، وكلّ ما كان ظهارة لغيره كان الغير بطانة له " انتهى .

(ومّما عدّوه) من القلب قول القطاميّ في مطلع هذه القصيدة :

قفي قبل التفرّق يا ضُباعا ولا يك موقفٌ منك الوداعا

لأنه جعل ماهو في موقع المبتدإ نكرة ، و ما هو في موقع الخبر معرفة ، فحمل على القلب لتصحيح الحكم اللفظيّ وصار تقديره : ولا يكن موقف الوداع موقفاً منك ، ولو أنّه نكّر الوداع ما حمل على ذلك .

ومثله قول حسّان:

كأنّ سبيئة من بيت رأس يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ

عند من نصب مزاجها فجعل المعرفة الخبر والنكرة الاسم . وفي البيت تأويلات أخرى تخرجه عن القلب ليس هذا محلّ ذكرها .

(ومن القلب) قول القائل:

إنّ سراجاً لكريم مَفخرهْ تحلى به العين إذا ما تَجْهَرُهْ

قال السيد المرتضي في أماليه : أي يحلي بالعين فقدّم وأخّر.

(ومنه) قول الجعديّ:

كانت فريضةَ ما تقول كما كان الزناءُ فريضةَ الرجم

والأصل : كان الرجم فريضة الزناء .

(ومنه) قول الآخر :

وقد خفت حتّى ما تزيد مخافتي على وَعِلٍ في ذي المطارة عاقلِ

أراد : ماتزيد مخافة وعل على مخافتي ، كذا في أمالي المرتضى.

(ومنه) قول الآخر :

ترى الثور فيها مدخل الظلّ رأسَه وسائره بادٍ إلى الشمس أجمع

أي مدخل رأسه الظلّ.

(ومنه) قول الراعي :

فصبّحته كلاب الغوث يؤسدها مستوضحون يورن العين كالأثر[1]

يريد أنّهم يرون الأثر كالعين.

(ومنه) قول النابغة الذبيانيّ :

فلا تتركّني بالوعيد كأنّني إلى الناس مطليّ به القار أجربُ

قال الأعلم : "قوله : كأنّني إلى الناس ، أي في الناس ، وقوله : مطليّ به القار، أي مطليّ بالقار فقلب ، ويحتمل أن يكون في مطليّ ضمير البعير كأنه قال: كأني بعير مطليّ أجرب فيه القار ، أو عليه القار ".

(ومنه) قول أبي النجم :

* قبل دنوّ الأفق من جوزائه *

أي قبل دنوّ الجوزاء من الأفق .

(ومنه) قول عروة بن الورد :

فلو أنّي شهدت أبا معاذ غداة غدا بمهجته يفوق[2]

---

[1] الغوث : قوم من طيء ، ويقال : استوضح الرجل : إذا وضع يده على جبهته للنظر .

[2] فاق بنفسه : جاد بها . وقوله : لا آلوك ، قال البغدادي في حاشيته على شرح بانت سعاد : الرواية (لا آلوه) والمشهور بكاف الخطاب بتقدير قائلاً.

فديت بنفسه نفسي ومالي   وما آلوك إلاّ ما أطيق

قال المرزبانيّ : أراد أن يقول : فديت نفسه بنفسي فقلب المعنى .

(ومنه) قول الحطيئة :

فلمّا خشيت الهُونَ والعَيرُ مُمْسَكٌ   على رغمه ما أمسك الحبل حافرُهْ[1]

وكان الوجه : ما أمسكَ الحبلُ حافرَه .

ومثله قول المجنون :

يضمّ إليّ الليل أطفال حبّكم   كما ضمّ أزرارَ القميص البنائقُ

والوجه : رفع الأزرار ونصب البنائق ، ولهذا ذكر السيرافيّ أنّ بعضهم رواه: (كما ضمّ أزرارُ القميص البنائقا) قال : وليس بصحيح ، لأنّ القصيدة مرفوعة . هذا على تفسير البنيقة بالرقعة تكون في الثوب كاللبنة ، أو هي لبنة القميص ، وقال صاحب اللسان : "وفسّر أبو عمرو الشيبانيّ البنائق هنا بالعُرَا التي تدخل فيها الأزرار . والمعنى على هذا واضح بيّن لا يحتاج معه إلى قلب ولا تعسّف إلاّ أنّ الجمهور على الوجه الأوّل " انتهى .

(ومنه) قول الشمّاخ:

بانت سعاد ففي العينين ملمول   وكان في قصر من عهدها طول

قال أبو هلال : "كان ينبغي أن يقول : في طول من عهدها قصر لأن العيش مع الأحبّة يوصف بالقصر " ونحوه في الموشّح للمرزبانيّ.

---

[1] كذا في القرطين ، والذي في الموشح ونقد الشعر والديوان : (ما ألبث الحبل).

(ومنه) قول أبي ذؤيب :

فلا يهنأ الواشون أن قد هجرتها وأظلم دوني ليلُها ونهارها

قال أبو هلال : هذا من المقلوب ، وكان ينبغي أن يقول : وأظلم دونها ليلي ونهاري ، ومثله في الموشّح.

(ومنه) قول الأخطل :

مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت نَجْران أو بلغت سوآتهم هَجَرُ

وكان الوجه رفع سوآتهم ونصب هجر ، لأن السوآت هي التي تبلغ هجر .

(ومنه) قول كعب في بانت سعاد:

كأنّ أوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلّفع بالقُور العساقيلُ

القور (بالضمّ): جمع قارة، وهو الجبل الصغير. والعساقيل هنا: السراب ولا واحد لها . والوجه كما تلفّعت القور بالعساقيل ، أي صار السراب للأكم مثل اللثام.

(ومنه) قول النابغة الجعديّ :

حتّى لحقناهُم تُعدى فوارسنا كأنّنا رَعْن قُفّ يرفع الآلا

أي تغدى فوارسنا الخيلَ فحذف المفعول اختصاراً. ورعن القفّ نادر يندر منه. والقفّ . ما ارتفع من الأرض . والآل : السراب ، شبّه حركتهم في عدوهم

بحركة القفّ في الآل ، لأنّ الجبال فيه يخيّل للناظر أنها تضطرب . فكان الوجه كأنّنا رعن قفّ يرفعه الآن ، كذا في أدب الكتّاب لابن قتيبة والأضداد لأبي الطيّب اللغويّ وشرح بانت سعاد لابن هشام . وقال ابن السِّيد في شرح أدب الكتّاب : "قال الأصمعيّ : إنما قال يرفع الآل لأنّه يترو في الآل فإذا نزا فكأنّه قد رفع الآل ، يريد أنّه لا قلب في البيت كما قال ابن قتيبة "

(ومنه) قول خِدّاش بن زهير :

وتَركب خيلٌ لا هوادة بينها　　　وتشقي الرماح بالضياطرة الحُمْرِ[1]

الضياطرة: واحدهم ضَيْطار، وهو الضخم الذي لا يُغنى شيئاً. والبيت عندهم من المقلوب ، إذ الأصل : وتشقى الضياطرة بالرماح ، أي يُقتلون بها . وقيل: لا قلب لجواز أن يكون عني أنّ الرماح تشقى بهم ، أي أنّهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها . وقال علم الدين السخاويّ في سفر السعادة : "زعموا أنّه مقلوب ، وأنّ وجه الكلام : وتشقى الضياطرة بالرماح ، وأحسن من هذا أن يكون غير مقلوب وشقاوة الرماح تكسّرها فيهم ، كما قال :

فتى شقيت أرماحه بعداته　　　كما شقيت أرماح زيد بتغلب"[2]

---

(1) رواية اللسان وشفاء الغليل : (وتركب خيلًا) وفي الجمهرة (وتركب خيلٌ) وروى في نسخة صحيحة من القرطين برفع خيل وفتح التاء من تركب . وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب الأضداد : "كان الوجه أن يروى وتركب (بضم التاء) وليس يروى إلا (بالفتح) والخيل لا تركب " قلنا : لعله من قولهم : ياخيل الله اركبي ، وقد عدوه أيضاً من المقلوب .

(2) كذا بلفظ (زيد) في نسخة صحيحة من السعادة بأولها خط المصنف .

انتهى . وفى البيت رواية أخرى رواها الإمام محمد بن أحمد بن مُطَرِّف الكنـانيّ في القرطين وهي : (وتَعْصَى الرماح) من قولهم : عَصِيَ بسـيفه يَعْصَـى : أي ضرب به . والمراد هنا الطعن ، وعلى هذه الرواية لا يصحّ تخريج ما في البيـت إلاّ على القلب . قال الكنانيّ : "لأنّ الرماح لا تعصى بالضيـاطرة ، وإنّمـا يعصى الرجال بها ، أي يطعنون ".

(ومنه) قول الفرزدق يذكر ذئباً :

وأطلس عسّال وما كان صاحباً رفعت لناري موهناً فأتاني

قال المبّرد في الكامل : "قوله : رفعت لناري من المقلوب ، وإنّمـا أراد رفعت له ناري ، والكلام إذا لم يدخله ليس جاز القلب للاختصار" ثم قـال : "ويروى : أنّ يونس بن حبيب قال لأبي الحسن الكسائيّ : كيف تنشد بيـت الفرزدق :

غداة أحلّت لابن أصرم طعنةٌ حصين عبيطات السدائف والخمرُ؟

فقال الكسائيّ : لمّا قال : غداة أحلّت لابن أصرم طعنة حصـين عبيطـات السدائف تمّ الكلام ، فحمل الخمر على المعنى ، أراد : وحلّت له الخمر ، فقال يونس : ما أحسن ما قلت ، ولكنّ الفرزدق أنشدنيه على القلـب ، فنصـب الطعنة ورفع العبيطات ، والخمر على ما وصفنا من القلب ، والذي ذهب إليـه الكسائيّ أحسن في محصن العربيّة ، وإن كان إنشاد الفرزدق جيّداً " انتهى .

(ومنه) قول الفرزدق أيضاً :

فبِتْنَ بجانبيّ مصرَّعاتٍ وبتّ أفضّ أغلاق الخِتام

قال الفارسيّ : أراد ختام الأغلاق فقلب ، كذا في اللسان في مـــادة (غلق) .

(ومنه) قول ذي الرُّمّة :

وقرّبن بالزُّرق الحمائل بعدما تقوّب عن غربان أوراكها الخَطر[1]

الزرق : أكثبة بالدهناء . والغربان من الفرس والبعير : حرفا الوركين. والخطر : ما لصق بالوركين من البول . وتقوّب الجلد : تقشّر قال صـــاحب اللسان "أراد تقوّبت غربانها عن الخطر فقلبه ، لأنّ المعنى معروف كقولك : لا يدخل الخاتم في إصبعي ، أي لا يدخل إصبعي في الخاتم " .

(ومنه) قول بعضهم - ونسبه صاحب الوساطة للأعشى -:

وكلّ كميت كأنّ السَلِيـــ ط في حيث وارى الأديمُ الشعارا

ففي الوساطة : "يريد حيث وارى الشعارُ الأديمَ فقلب الكلام ".

ورواية اللسان : (طويل) بدل كميت ، وجاء فيه عن البيت ما نصّـــه : "أراد كأنّ السلطي ، وهو الزيت في شعر هذا الفرس لصفائه . والشعار : جمع شَعَر، كما يقال : جبل وجبال ، أراد أن يخبر بصفاء شعر الفرس ، وهو كأنه مدهون بالسليط . والموارِى في الحقيقة : الشعار . والموارَى : هو الأديم ، لأنّ الشعر

---

[1] الحمائل (بالحاء المهملة) هي رواية اللسان في (عرب) و (خطر) والذي في الديوان : الجمائل (بالجيم) وفسرت بأنها جمع جمالة.

يواريه فقلب . وفيه قول آخر يجوز أن يكون هذا البيت من المستقيم غير المقلوب ، فيكون معناه : كأنّ السليط في حيث واردى الأديمُ الشعر ، لأنّ الشعر ينبت من اللحم وهو تحت الأديم ، لأنّ الأديم الجلد . يقول : فكأنّ الزيت في الموضع الذي يواريه الأديم وينبت منه الشعر ، وإذا كان الزيت في منبته نبت صافياً ، فصار شعره كأنه مدهون ، لأنّ منابته في الدهن، كما يكون الغصن ناضراً ريّان إذا كان الماء في أصوله " انتهى .

(ومنه) قول الأعشى :

حتّى إذا احتدمت وصا ر الجمر مثل ترابها

أي وصار ترابها مثل الجمر . وقد روى هذا البيت في الأضداد لأبي الطيّب اللغويّ والقرطين للكنانيّ . والذي في الأضداد للسجستانيّ :

* حتّى يصير الجمرُ مثل ترابها *

أي على أنه شطر بيت وليحقّق فإنّي لم أجده في نسخة ديوان الأعشى التي بيدى . ولعلّه لأعشى آخر إلاّ أنّ عادتهم إذا أطلقوا أرادوا الأعشى الأكبر .

(ومنه) قوله الشمّاخ يذكر أباه :

منه وُلدت ولم يؤشب به حسبي ليًّا كما عُصِبَ العلباء بالعود[1]

العلياء : عصب العنق ، وكانت العرب إذا تصدّع رمح تعصبه به وهو رطب فيجفّ عليه، فكان الوجه في البيت : (كما عُصب العود بالعلباء).

---

[1] منه ولدت هي رواية القرطين والأضداد لأبي الطيب اللغوي ، والذي في ديوان الشماخ : (منه نجلت).

(ومنه) قول ذي الرُّمّة :

وتكسو المِجَنّ الرخو خصراً كأنّه إها ذَوَى عن صُفرة فهو أخلق

المجنّ هنا : الثوب والإهان (بكسر أوّله) : عود العذْق . والأخلق : الأملس . وكان الوجه أن يقول : تكسو الخصر مجنًّا.

(ومن القلب) قوله أيضاً يذكر بعيراً:

بَرَى لحمه التوجافُ حتّى كأنّه هلال نضت عنه الرياحَ سحائبُه[1]

أي أهزله الإسراع في السير حتّى صيّره كهلال تقشّعت عنه السحائب ، فالرياح هي التي نضت عنه السحائب لا العكس كما في البيت ، ولكنّه لما اضطُرّ قلب. وقد رواه هكذا أبو الطيّب اللغويّ في الأضداد ، ورواية الديوان: (هلال بدا وانشقّ عنه سحائبه) ولا قلب عليها .

(ومنه) قول الآخر :

أسلمته في دمشق كما أسلمت وحشيّةٌ وَهَقَا

الوهق (بفتحتين) : حبل مُغار يرمى فتؤخذ به الدوابّ . والوجه كما أسلم وهقٌ وحشيّة .

(ومنه) ما أورده ابن هشام في المغنى لبعضهم :

فإن أنت لاقيت في نجدة فلا يتهيَّبْكَ أن تقدما

---

[1] في الديوان : (طوى بطنه الترجاف).

قال الدماميني في الهنديّة : "أي لا يَخَفْكَ الإقدام والمعنى : لاتخف أنت الإقدام على ملاقاة العدوّ والدخول في الحرب ، والقلب فيه ظاهر".

(وفي المغنى) أيضاً لابن مقبل :

ولا تَهَيّبني الموماة أركبها إذا تجاوبت الأصداء بالسحر

أي لا تتهيّبني ، فحذفت إحدى التاءين ، والوجه لا أتهيّبها.

(ومن) قلب التثنية بالإفراد ما ورد في المغني أيضاً لبعضهم.

إذا أحسن ابن العمّ بعد إساءة فلست لشَرّىْ فعله بحمول

أي فلست لشرّ فعليه .

(ومن القلب) قول بعضهم :

متاليف سيّارون والليل مسدف إذا الليل بالغَوْج الهدان تحيّرا

قال أبو الطيّب اللغويّ في الأضداد: "أي إذا تحيَّر الغوج الهدان بالليل. والغوج : الثقيل والوهدان : البليد".

(ومنه) قول الآخر :

عليك سلام الله منّى مضاعفاً إلى أن تغيب الشمس من حيث تطلع

قال أبو الطيب : "يريد إلى أن تطلع الشمس من حيث تغيب".

(ومنه) قول الآخر :

فإنّ بنى شُرَحْبِيل بن عمرو تمادَوْا والفجور من التمادى[1]

---

[1] في نسختنا من الأضداد لأبي الطيب : (قال بنى) وهو تحريف ظاهر، فرجحنا أن يكون : (فإن بنى) وليحقق.

يريد : والتمادى من الفجور .

(ومنه) قول الآخر :

أتجزع أن نفسي أتاها حمامها فهلاّ التي عن بين جنبيك تدفع

يريد : فهلاّ عن التي بين جنبيك تدفع .

(ومنه)قول الآخر :

أقبّ طِمِرّ كسيد الغضا إذا ما الخبار انتحاه وَثَبْ

يريد : إذا انْتحى الخبار ، أي قصده . والخبار من الأَرض : ما لان واسترخى ، وكانت فيه جِحَرة .

(ومنه) قول الآخر :

ووحش إران قد سلبت مقيله إذا ضنّ بالوحوش العتاق مقايُلة

هكذا أنشده أبو الطيّب اللغويّ في الأضداد وقال : "يريد إذا ضنّ الوحـــش بمقايلة " والأَران على هذه الرواية إمّا الكنّاس ، وإمّا مَوضع تنسب إليه البقر . وورد في اللسان على أن الأَران الثور الوحشي برواية :

وكم من إران قد سلبت مقيله إذا ضنّ بالوحش العتاق معاقله

(ومن القلب) قول بعضهم :

كأنّ ريقتها بعد الكري اغتبقت من مستكنّ غماه النحل في نِيق

أو طعم غادية في جوف ذي حَدَب من ساكب المزن يجري في الغرانيق[1]

النيق (بكسر الأوّل) : أرفع موضع في الجبل ، وأراد بذي حدب : ماء استنقع في موضع منخفض تحت جبل فبرد وَصَفا ، كذا في الاقتضاب .

قال أبو الطيّب في الأضداد : "أي تجري الغرانيق فيه والغرانيق : جمع غُرْنُيق وهو طير الماء" فجعله من المقلوب، والذي في اللسان : أنّه أقام (في) مقام (مع) أي أنّه أراد يجري مع الغرانيق . ومثله في أدب الكتاب لابن قتيبة وشرحه المسمّى بالاقتضاب لابن السّيد ، وذكر أنّ الشعر لخُراشة بن عمرو العبسيّ ، وأنّ بعضهم رواه لعنترة بن شداد.

(ومن القلب) قول الراجز يشكو أذى البرغوث:

قد حكّني الأسيود الأَسَكُّ[2] بالليل حكًّا ليس فيه شكّ

* أحُكّ حتّى منكبي منفكّ *

كذا رواه أبو الطيّب في الأضداد وقال : "يريد بالأسيود : البرغوث ، ويريد حككته فقال: حكّني".

ورواية اللسان:

ليلة حكّ ليس فيها شكّ أحكّ حتّى ساعدي منفكّ

* أسهرني الأسيود الأسكّ *

---

[1] ويروى : (من ساكن المزن) قال ابن السيد في الاقتضاب : أي من الماء الساكن في المزن ، وهي السحاب.

[2] الأسك : الصغير الأذن.

(ومنه) قول الآخر:

وقد أراني في زمان ألعبُة في رونق من الشباب أعجبُة

قال أبو الطيّب :"أي يعجبني ، وقوله : ألعبه ، أي في زمان ألعب فيه".

(ومنه) قول الآخر :

قد صبّحت صبّحها السلامُ بكبد خالطها السَّنام

* في ساعة يحبّها الطعام *

قال أبو الطيّب :"أي يُحَبّ فيها الطعام ومثله في اللسان .

(ومنه) قول الآخر:

وإذا تعاورت الأكفُّ زجاجها نفحت فنال رياحَها المزكوم[1]

قال أبو الطيّب: "يريد : فنالت رياحُها المذكومَ. والمذكوم نصب والرياح رفع"

(ومنه) قول الآخر:

ما كنت في لحرب (العوان) مغمّراً إذ شبّ حَرُّ وقودها أجزالها[2]

قال أبو الطيّب :"وإنّما الأجزال هي التي شبّت حَرُّ وقودها".

(ومن القلب) الواقع في كلام المولّدين قول أبي تمام يصف قلم ممدوحه:

---

[1] البيت للأخطل في الخمر ، ورواية الأغاني : (زجاجها) كما هنا ، وفي موضع آخر : (ختامها) وهي رواية معاهد التنصيص أيضاً.

[2] في النسخة بياض موضع (العوان) ولكن رسمت من الكلمة أداة التعريف والنون التي بآخرها ولتحقق.

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه   وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

أورده القزرينيّ في الإيضاح شاهداً على القلب المتضمّن الاعتبار اللطيف ، ولم يتكلّم عليه . والمراد أنّ الوجه فيه : (لعابه كلعاب الأفاعي) فعكس التشبيه للمبالغة ، ولكن لا يخفى أنّه يرد عليه ماورد على قول رؤبة : (كأنّ لون أرضه سماؤه) المتقدّم ذكره ، فيعدّ من التشبيه المقلوب لا من القلب المراد هنا.

وزعم بعضهم : أنّ من المقلوب قول المتنبّي:

وعذلتُ أهل العشق حتّى ذقته   فعجبت كيف يموت من لا يعشق

لأنه عنده على تقدير : كيف لا يموت من يعشق ، وخلاصة ما في شروح الديوان والوساطة والمغنى وعروس الأفراح أن لا قلب، لأنّ المراد أنّه صار يرى أن لا سبب للموت سوى العشق ، أي أنّ الأمر المتقرّر في النفوس أنّ الموت أعلى مراتب الشدّة ، وإنّي لّما ذقت العشق وعرفت شدّته عجبت كيف يكون هذا الأمر الصعب المتّفق على شدّته غير العشق وكيف يجوز ألاّ تعمّ علّته فتستولى على الناس حتّى تكون مناياهم منه.

(ومن المقلوب) في رأى ابن جنّى قول المتنبّى أيضاً:

نحن ركب مِلْجِنّ في زيّ ناس   فوق طير لها شخوص الجمال[1]

---

[1] أي من الجن ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام.

لأن تقديره عنده : نحن ركب من الإنس في زيّ الجنّ فوق جمال لها شـــخوص الطير . قال ابن سنان الخفاجيّ في سرّ الفصاحة : "وهذا عندي تعسّف من أبي الفتح لا تقود إليه ضرورة ، ومراد أبي الطيّب المبالغة على حسب ما جرت بـه عادة الشعراء فيقول : نحن من الجنّ لجوبنا الفلاة والمهامة والقفـــار الـتي لا تسلك ، وقلّة فرقنا فيها إلاّ أنّنا في زيّ الإنس ، وهم بلا شكّ كذلك . ونحن فوق طير من سرعة إبلنا إلاّ أنّ شخوصها شخوص الجمال، ولا خلاف أيضاً في هذا " انتهى.

القسم السادس

ومن هذه الأوهام تغيير الأسماء ، وهو ثلاثة أنواع:

الأوّل : لفظيّ ، وهو ما كان التغيير فيه في أحرف الاسم بالتقديم والتأخير ، أو الزيادة أو النقصان.

والثاني : معنويّ ، وهو ما وضع فيه اسم موضع آخر .

والثالث : جامع لهما ، وهو ما وقع فيه التغييرات كلاهما .

فالأول كقول الأسود بن يَعْفُر يصف درعاً :

ودعا بمحكمة أمين سكها من نسج داود أبي سَلاّم

يريد : (أبي سليمان) فلمَا اضطُرَّ قال سلاّم وكقول الآخر :

وسائلة بثعلبة بن سَيْر وقد علقت بثعلبة العَلُوق

يريد : ثعلبة بن سيّار . ومثله كثير ولا كلام لنا فيه لخروجه عن مقصودنا.

والثاني : كقول حُسَيل بن سُجَيح الضبّيّ يذكر درعاً :

وبيضاء من نسج داود نَثْرة تخيّرها يوم اللقاء المَلابسا [1]

فإنّ الدروع من نسج داود نفسه لا ابنه سليمان،وأكثر ما يقع هذا بذكر الابن بدل الأب وعكسه . وخرّجه التبريزيّ في شرح ديوان الحماسة على أنه من

---

[1] أصله : تخيرها من الملابس، فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى المفعول فنصبه.

عادة العرب في إقامة الأب مقام الابن، والابن مقام الأب، وتسمية الشيء باسم غيره إذا كان من سببه .

والثالث : أي الجامع اللّفظيّ والمعنويّ كقول الحطيئة:

فيه الرماح وفيه كلّ سابغة بيضاء محكمة من نسج سَلاّم[1]

وقول النابغة:

وكلّ صموت نَثْلة تُبّعيّة ونسج سُلَيم كلّ قَضّاء ذائل[2]

قال القاضي الجرجانيّ في الوساطة : "أراد داود فغلطا إلى سليمان ، ثمّ حرّفا اسمه فقال أحدهما : سلاّم ، وقال الآخر :سليم" انتهى.

وتبعهما أبو العلاء المعرّيّ فقال في الدرعيّات:

سليميّة من كل قتر يحوطها قتير نبت عنه الغواني الأوانسُ[3]

(فمن المعنويّ) قول الصّلَتان العبديّ:

أرى الخَطَفَى بذّ الفرزدق شعرُه ولكنّ خيراً من كُلَيب مجاشع

---

[1] ويروى : (جدلاء) بدل بيضاء.

[2] الذائل : الدرع الطويلة الذيل . وفي شرح السيرافي على كتاب سيبويه : أنه صغر سليمان على سليم تصغير ترخيم.

[3] من كل قتر ، أي من كل جانب ، ويعني بالقتير : مسامير الدرع ، ولما كان القتير موهما طلائع الشيب ذكر نفرة الغواني عنه.

قال ابن مطرّف في القرطين : "أراد أرى جريراً بذ الفرزدق فلم يمكنه فذكره جده" وفي خزانة البغدادي "أراد رى جرير بن عطيّة بن الخطفي ، وجاز هذا لكونه معلوماً عند المخاطب ، وقد انكر الخوارزميّ كون هذا من باب الحذف وقال : إنّما هو من باب تعدّي اللقب من الأب إلى الابن كما في قوله:

* كراجي الندى والعرف عند المذلّق *

"أي ابن المذلّق" انتهى.

(ومنه) قول حسان بن ثابت .

من معشر لا يغدرون بذمّة الحارث بن حبيب بن سحام[1]

قال القاضي الجرجانيّ في الوساطة : "وإنّما هو حبيب" .

(ومنه) قول أوس بن حَجَر :

فهل لكم فيها إليّ فإنّني طبيب بما أعي النطاسيّ حِذْيَما

أراد ابن حذيم ، وكان من أطبّاء العرب فذكر أباه .

وذهب ابن السِّكّيت في شرحه لديوان أوس إلى أنّ حذيماً اسم الطبيب نفسه، وتبعه في ذلك صاحب القاموس ، ولكنّ الأكثرين على أنّه أبوه . واستشهد الزمخشريّ في الكشّاف بهذا البيت على حذف المضاف لأمن اللبس، ولكنّه خالف كلامه في المفصّل فجعله من المحذوف مع وجود اللبس ، وأنشد معه قول ذي الرُّمّة :

---

[1] ورد هذا البيت هكذا في النسخة المطبوعة بصيدا من الوساطة ولم نجده في ديوانه.

عشية فرّ الحارثيُّون بعدما قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر[1]

أي يزيد بن هوبر ، وهو صوّب البغداديّ في خزانته قوله الأوّل بأنّ الإلباس وعدمه إنّما يكون بالنسبة إلى المخاطَب الذي يُلقى المتكلّم كلامه إليه لا بالنسبة إلى أمثالنا ، فإنّه وإن كان عندنا من قبيل الإلباس فهو مفهوم واضح عند المخاطَب به في ذلك العصر .

(ومنه) قول الآخر يصف إبلاً :

صبّحن من كاظمة الخُصنّ الخَرِبْ يحملن عبّاس بن عبد المطّلب[2]

فإن ابن مطرّف الكنانيّ في القرطين: "أراد عبد الله بن عبّاس فذكر أباه مكانه". وجعله ابن جنّى في الخصائص من المحذوف لأمن اللبس فقال : "وإنّما أراد عبد الله بن عبّاس ولو لم يكن على الثقة بفهم ذلك لم يجد بدًّا من البيان" وأورده المبرّد في الكامل ، وأنشد معه للفرزدق في سليمان بن عبد الملك :

ورثتم ثياب المجد فهي لَبوسكم عن ابنى مناف عبد شمس وهاشم

يريد ابن عبد مناف . وأنشد معه أيضاً قول كثيّر لمّا حبس عبد الله بن الزبير محمد ابن الحنفيّة في سجن عارم:

تخيّر من لاقيت إنّك عائذ بل العائذ المحبوس في سجن عارم

وصيّ النبيّ المصطفى وابن عمّه وفكاك أعناق وقاضي مغارم

---

[1] رواية المزهر : (هوى بين أطراف الأسنة هوبر).

[2] وفي رواية : (الخصن) بدل الخص كما في مادة (وصى) من اللسان.

يريد ابن وصيّ النبيّ . وفي مادّة (وصى) من اللسان: "إنّما أراد ابن وصيّ النبيّ وابن ابن عمّه، وهو الحسن بن عليّ، أو الحسين بن عليّ رضي الله عنهم، فأقام الوصيّ مقامها، ألا ترى أنّ عليًّا رضي الله عنه لم يكن في سجن عارم ولا سجن قطّ . قال ابن سِيدَه : أنبأنا بذلك أبو العلاء عن أبي عليّ الفارسيّ ، والأشهر أنّه محمّد ابن الحنفيّة رضي الله عنه ، حبسه عبد الله بن الزبير في سجن عارم ، والقصيدة في شعر كثيّر مشهورة، والممدوح بها محمّد ابن الحنفيّة" انتهى.

(ومنه) قول دُريد بن الصِّمَّة يرثي أخاه عبد الله :

فإن تُعقب الأيّام والدهر فاعلموا بني قارب أنّا عضاب بمَعْبَد[1]

وإن كان عبد الله خلّى مكانه فما كان طيّاشاً ولا رعش اليد

أراد بمعبد: عبد الله، وقد صرّح به في البيت الثاني. والأقرب عدّ هذا من الخطأ اللفظيّ ، أي بتحريف عبد بمعبد ، وسهله له رجوع كلا اللفظين إلى معنى العبودة.

(ومنه) قول الآخر:

أرض تخيّرها الطيب مقيلها كعب بن مامة وابن أمّ دواد

قال البغداديّ في الخزانة: "هو أبو دواد الشاعر، واسمه جارية[2]، والتقدير ابن أمّ أبي دواد فحذف الأب".

---

(١) كذا في اللسان والوساطة ، والذي في المزهر وموارد البصائر وشرح السيرافي على سيبويه (لمعبد) وفيه بدل البيت الثاني:

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً فقلت أعبد الله ذلكم الردى

(ومنه) ما ذكره السيرافيّ في شرحه لكتاب سيبويه فقال : "وأمّا مـــالا يجوز في الشعر ولا في الكلام ، فالغلط الذي يغلطه الشاعر في اسم أو غيره مما يظنّ أنّ الأمر فيه على ما قاله ، كقوله :

* والشيخ عثمان أبو عفّان *[1]

فظن أنّ عثمان يكني أبا عفّان ، لأنّ اسم أبيه عفّان ، وإنّما هو أبو عمرو فهذا ممّا لا يجوز".

(ومنه) قول لبيد يرثي عمّه عامر بن مالك الملقّب بملاعب الأسنّة:

قُوما تنوحان من الأنواح وأبّنا ملاعب الرماح

وقوله فيه :

لو أنّ حيًّا مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

فاضطرّته القافية إلى تلقيبه بلقب غيره ، لأنّ ملاعب الرماح هو عامر بن الطُّفيل . هذا على ما جاء في موارد البصائر ومادّتي (رمح) و (لعب) من اللسان . وجاء في مادّة (رمح) من القاموس : "وملاعب الرماح:

عامر بن مالك بن جعفر ، والمعروف ملاعب الأسنّة ، وجعله لبيد رماحاً للقافية" إلاّ أنّه اقتصر فيه على المشهور في مادّة (لعب) .

---

[2] الذي في القاموس وشرحه : (جويرية) أي بالتصغير.

[1] كذا في شرح السيرافي على سيبويه ، والذي في المزهر (أبو عفانا) ولا يتعين أحدهما إلا بالوقوف على بقية الرجز.

(ومنه) قول زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلّهم كأحمر عاد ثمّ ترضع فتفطم

فذكروا أنّه أخطأ في قوله كأحمر عاد ، وهو أحمر ثمود . وقال بعض أهل اللغة : العر تسمّى ثمود : عاداً الآخرة ، وتسمّى قوم هود : عاداً الأولى ، فقول زهير صحيح .

(ومنه) قول النَّمِر بن تَوْلَب :

هلاَّ سألتِ بعادياء وبيته والخلّ والخمر التي لم تمنع[1]

وفتاتهم عَنْز عشيّة أبصرت من بعد مرأى في القضاء ومسمع

قالت أرى رجلاً يقلّب نعله أُصُلاً وجَوٌّ آمن لم يفزع[2]

وعنز (بفتح فسكون): اسم زرقاء اليمامة، وكانت على ما زعموا تبصر من مسيرة ثلاثة أيّام ، وهي من جَديس ، فجعلها الشاعر من بيت (عادياء) وهو أبو السموءل الأزديّ الغسّانيّ ، فأخطأ في وضعه اسماً موضع آخر.

وقال بعضهم : أراد بعادياء : عاداً ، والعرب تقول : لكل شئ قديم عاديّ .

قلنا : وعلى هذا القول فهو من الخطإ اللفظيّ بتحريف عاد بعادياء . والأقرب في الاعتذار عنه قول ابن حبيب في شرحه لديوانه : "نسب عنزاً إلى

---

[1] قوله : بعادياء ، يريد عن عادياء.

[2] جو (بفتح الأول) . اسم بلد ، وهي اليمامة . والمراد هنا أهل جو.

بيت عادياء ، وليست منهم ، وإنّما كان شيئاً في أوّل الدهر فنسبه إلى بعضهم، كما قال زهير كأحمر عاد وإنّما كان في ثمود ".

(ومنه) قول البحتريّ من المولّدين :

همُ ثأروا الأخدود ليلة أغرقت رماحهم في لجّة البحر تُبّعا

قال أبو العلاء المعرّيّ في عبث الوليد: "الذي غرق من ملوك اليمن في البحر لّما أرهقته الحبشة هو ذو نُوَاس الحميريّ ، ولم يكن يقال له تبع إلاّ أنّ هذا يحتمله الشعر على أن يجعل كلّ ملك للعرب تبّعاً ، كما جعلوا كلّ ملك للروم قيصر ، وكلّ ملك من ملوك الحيرة النعمان ".

***

وكل ما ذكرناه من المآخذ لم نأت به من عند أنفسنا بل عوّلنا فيه على ما في كتب أئمّة اللغة والأدب ، كاللسان ، والمزهر، والخصائص، والأغاني، والعقد، ومحاضرات الأدباء ، والقرطين ، والتنبيهات ، ومجالس أبي مسلم ، والوساطة ، والموشّح ، وسفر السعادة، والخزانة ، وكتب الأضداد ، والضرورات الشعريّة، وشروح الدواوين ، وغيرها فإن كان لنا فيه شئ فجمع ما انتثر منه ، وضمّ الشبيه إلى شبيهه ، أو ما كان كالتوطئة ، أو الشرح لكلامهم . وقد منعنا طول المقال عن إلحاقه بما وقع من هذه الأوهام لفحول المولّدين غير ما تقدم ذكره بالمناسبة فأرجأناه لمقال آخر خاصّ بهم .

أحمد تيمور